محاضرات في ...

تاريخ أوروبا الحديث المعاصر

الفرقة الأولى – أساسي – دراسات إجتماعية

خبز وطنك أفضل من بسكويت أجنبي
"فولتير"

أ.د. محمد سيد إسماعيل

٢٠٢٣م

بيـانـات أساسية

الكلية: التربية

الفرقة: الأولى – أساسي دراسات

التخصص: تربية – تاريخ

عدد الصفحات: ١٢٧.

القسم التابع له المقرر : قسم التاريخ– كلية الآداب.

الرموز المستخدمة

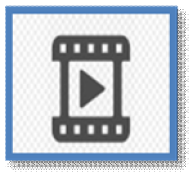 فيديو للمشاهدة.

نص للقراءة والدراسة.

رابط خارجي

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي.

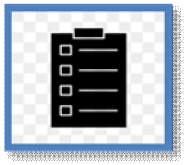 أنشطة ومهام.

تواصل عبر مؤتمر الفيديو.

(تاريخ الفكر السياسي)

مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥)م

هو المُفكر السياسي الفرنسي "شارل لوي دي سيكوندا" والمعروف باسم" مونتيسكيو" "Montesquieu"، ولد مونتسكيو في عام ١٦٨٩م حيث تعلّم الحقوق وأصبح عضو برلمان عام ١٧١٤م، نشر أهم كتبه في عام ١٧٤٨م والمعروف بـ"روح القوانين" أو«الشرائع» في جنيف في ٣١ جزءاً وأضحى من أبرز المراجع في العلوم السياسية. ولقد أشار في كتابه هذا إلي ثلاثة أنواع من أنظمة الحكم وهي: (الملكية، الديكتاتورية، الجمهورية). وهو صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليا.

إهداء من الفرقة
ال.... تاريخ

تحت إشراف
د. محمد سيد إسماعيل حسن

مطبوعات "سيمنار شفيق غربال للتاريخ الحديث والمعاصر"

(تاريخ الفكر السياسي)

فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨)م

هو المُفكر السياسي الفرنسي "فرانسوا ماري آروويه" والمعروف بـ"فولتير" ، وقد اتخذ هذا الاسم "فولتير" الذي اتخذه الكاتب عام ١٧١٨ بوصفه اسماً قلمياً مستعاراً ، عاش خلال عصر التنوير ، كان غزير الإنتاج ؛ حيث قام بكتابة أعمال في كل الأشكال الأدبية تقريباً ؛ فقد كتب المسرحيات والشعر والروايات والمقالات والأعمال التاريخية والعلمية وأكثر من عشرين ألفًا من الخطابات ، ولقد تركت أعماله وأفكاره بصمتها الواضحة على مفكرين مهمين تنتمي أفكارهم للثورة الأمريكية والثورة الفرنسية . عُرف بنقده الساخر ، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان.

مدافعاً صريحاً عن الإصلاح الاجتماعي. تُوُفيَ «فولتير» عام ١٧٧٨م في باريس، ورفضت الكنيسة إقامةَ صلاة له ، فَدُفِنَ سرًا في إحدى الكنائس. اعتبرته الجمعية الوطنية الفرنسية أحد من بشّروا بالثورة الفرنسية فجمعوا رُفاتَه وبُنيَ نصب تذكاري له في مقبرة العظماء «البانثيون» عقب الثورة الفرنسية. انتفضَ فولتير ضدَّ الحكمِ الملكيِ، ونادى بضرورةِ أنْ يكونَ الحكمُ قائمًا على أساسِ قانون العقلِ والمنطق، وليسَ على أهواءِ شخصٍ من الأشخاص تى لو كان ذلك الشخصُ الملكَ نفسَه. وإذا كان فولتير يروي آثارَ الظلمِ الذي تفرضُه المَلَكيّة ؛ فلأنه يريدُ أنْ يعيَ الناسُ هذا الأمرَ، ويقفوا بوجهِه. وعلى ذلك، سعى فولتير إلى رسمِ برنامجٍ سياسي يهدفُ من خلاله إلى القضاءِ على التعصبِ الديني ؛ وذلك بتقوية الدولة على حسابِ الكنيسة، إذ تمثّلُ الدولةُ الجانبَ القانونيَّ المدنيَ، في حينِ تمثّلُ الكنيسةُ الجانبَ الدينيَّ المتشدد، على ألاّ يقعَ الخلطُ بين الجانبين، فيُتّهمَ الفردُ في إيمانه بالله.

- ذلك العصر الذي ظهر في بريطانيا إلا أن التطور الحقيقي كان في فرنسا-

إهداء من الفرقة
ال.... تاريخ

تحت إشراف
د. محمد سيد إسماعيل حسن

مطبوعات "سيمنار شفيق غربال للتاريخ الحديث والمعاصر"

(تاريخ الفكر السياسي)

مِكيافيللي (١٤٦٩-١٥٢٧)م

هو المُفكر السياسي الإيطالي "نيقولا مِكيافيللي" المؤسس للتنظير السياسي الواقعي إبان عصر النهضة، وهو صاحب نظرية "الغاية تبرر الوسيلة". ترك مِكيافيللي خلفه ثروة سياسية وأدبية وفكرية قُدر عددها نحو الثلاثين كتاباً، أشهرها كتاب "الأمير" المكتوب في عام ١٥١٣م، ومن الملاحظ أن هذا الكتاب لم ينشر إلا في عام ١٥٣١م أي بعد وفاة مكيافيلي، ولذا لم يفهمه البعض وهاجموه حتى أصبح اسمه ملازماً للشر، ولم يصل مِكيافيللي وفكره لما وصل إليه الآن إلا في القرن الثامن عشر عندما مدحه جان جاك روسو، وفيخته، وشهد له هيجل بالعبقرية. ويعتبر مِكيافيللي أحد الأركان التي قام عليها عصر التنوير في أوروبا. وقيل أن «موسوليني» لم يكن لينام حتى يقرأ كتاب الأمير كما قيل: إن «نابليون» و«هتلر» كانا يتخذانه مرجعاً لسياساتهم.

إهداء من الفرقة
ال.... تاريخ

تحت إشراف
د. محمد سيد إسماعيل حسن

مطبوعات "سيمنار شفيق غربال للتاريخ الحديث والمعاصر"

أوروبا السياسية
المحيط المتجمد الشمالي
الشمال
إيسلندا
روسيا الإتحادية
بحر الشمال
المحيط الأطلسي
المملكة المتحدة
إيرلندا
ألمانيا
بولندا
أوكرانيا
رومانيا
فرنسا
أسبانيا
البرتغال
إيطاليا
اليونان
بلغاريا
البحر الأسود
البحر المتوسط
كورسيكا
سردينيا
صقلية
مالطا
كريت
قبرص
mo3alem.com

أوروبا
الخريطة السياسية
جان مايان (لا)
بحر بارنتس
بحر النرويج
البحر الأبيض
أيسلندا
ريكيافيك
السويد
فنلندا
النرويج
أوسلو
ستوكهولم
هلسنكي
تالين
إستونيا
لاتفيا
ريغا
لتوانيا
فيلنيوس
الدانمارك
كوبنهاغن
المملكة المتحدة
لندن
دبلن
أيرلندا
هولندا
أمستردام
بلجيكا
بروكسل
لوكسمبورغ
ليشتنشتاين
فرنسا
باريس
سويسرا
موناكو
ألمانيا
برلين
وارسو
بولندا
براغ
سلوفاكيا
المجر
بودابست
رومانيا
بوخارست
بلغاريا
صوفيا
تركيا
أنقرة
اليونان
أثينا
إيطاليا
روما
مدينة الفاتيكان
سان مارينو
أندورا
مدريد
إسبانيا
البرتغال
لشبونة
مالطا
فاليتا
تونس
الجزائر
البحر المتوسط
البحر الأسود
بيلاروسيا
مينسك
موسكو
الاتحاد الروسي
أوكرانيا
كيف
مولدوفا
شيسيناو
جورجيا
أذربيجان
أرمينيا
كازاخستان
أوزبكستان
تركمانستان
بحر آرال
بحر قزوين
بحر أزوف
خليج بسكاي
شمال المحيط الأطلسي
1-الجمهورية التشيكية
2-النمسا
3-سلوفينيا
4-كرواتيا
5-الجبل الأسود
6-كوسوفو
7-مقدونيا
8-البوسنة والهرسك
اسطورة
الحدود الدولية
رأس المال الوطني
Copyright © 2014 www.mapsofworld.com
(Updated on 26th Aug, 2014)

الفصل الأول

عصر النهضة الأوروبية

كان عصر ما قبل النهضة هو المصطلح الذي أطلقه علم التأريخ على الفترة التي سبقت عصر النهضة، والتي أمكن من خلالها الكشف عن وجود سلائف عصر النهضة من الفنانين والأدباء في المقام الأول. قد قامت الدعوة إلى ضرورة التغيير والتحرر من هذا الظلام المدقع بعد سنوات مريرة عاشتها الدول الاوروبية تحت سيطرة الكنيسة على الأفكار والمعتقدات، والتصدي للفكر العلمي الذي قام به بعض العلماء وعلى رأسهم العالم الكبير جاليليو، وعاش الأوربيين عصر طويل تحت أحكام الكنيسة التي كانت ليها الكلمة العليا في فرض السلطة الدينية، ولكن فاق الأوروبيين وتمردوا عليها بعد أن انتشر فيها الفساد. كان النظام الإقطاعي هو السائد في أوروبا في ذلك الوقت، فكانت ملكية الأراضي الزراعية تقتصر على أصحاب الدرجات الرفيعة بالمجتمع، أما باقى أفراد المجتمع فيعملون كفلاحين وعمال في الأراضي بنظام السخرة، ولا يتمتعون بحق الإمتلاك فيعيشون تحت وطأة الفقر وتسلب منهم كثير من حقوقهم.

☒ عصر النهضة الأوربية "The Renaissance"

اصطلح المؤرخون على تقسيم تاريخ أوربا إلى ثلاثة عصور (القديم والمتوسط والحديث)، وأساس هذا التقسيم هو اطلاق اسم العصر على عدة قرون من الزمن، كانت فيها أسس الحياة واحدة أو متشابهة ومتقاربة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وفنياً. وكلمة نهضة في معناها الضيق "حركة بعث التراث القديم أو إحياء ذلك التراث" أي أنها تعني البعث الجديد أو حرفياً الولادة الجديدة، أما في معناها الشامل فهى تعني تحرر العقل الإنساني من قيود العصور الوسطى.

وأنه لمن الصعب أن تُحدد للنهضة بداية معينة، وذلك لأنها دور انتقال، فبعض مظاهرها جاء قبل القرن الرابع عشر، مثل دراسة القانون الروماني، كما أن ظهور المدن الأوربية، وما هيأت للصناعة والتجارة من تقدم، ومن هذه المظاهر اتساع المعلومات

الجغرافية، نتيجة لكشف العالم الجديد، ومنها الخروج على البابا وحركة الإصلاح الديني، وعلى هذا نستطيع أن نقول أن هذا العصر بدأ في القرن الثالث عشر، وأخذت النهضة في النمو والتقدم والإنتعاش في خلال القرنيين الرابع عشر والخامس عشر، واستمرت حتى أدركت القرن السادس عشر، على أنه يجب أن لا يغيب عن البال أن النهضة لم تبدأ في جهات أوربا في وقت واحد، ومع ذلك فقد أطلق المؤرخون تسمية "عصر النهضة" على الفترة التى تتوسط العصور الوسطى والعصور الحديثة والتي تشمل القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

☒ خصائص النهضة

تتمثل في الخصائص السياسية والاقتصدية والفكرية والفنية، فأما عن السياسة فلم تكن فكرة الدولة والأمة بالمعنى الذي نفهمه بها الآن، مفهومة في العصور الوسطى، فعلماء النظريات السياسية في العصور الوسطى، كانوا يؤمنون أن المسيحية تكون دولة واحدة، يحكمها البابا والإمبراطور فيما بينهما بتفويض من الله تعالى، الأول في الشئون الدينية، والثاني في الشئون الدنيوية، ولهذا فإنه يجب على كل الملوك إطاعتهما. وأثناء الإنهيار السياسي للإمبراطورية التي عرفتها العصور الوسطى بدأت الدول القومية تأخذ في النمو، ولكن في خطوات بطيئة ومضنية، وقد ظهرت في انجلترا أولاً حيث كانت الظروف ملائمة لنشأتها، ثم في إسبانيا والبرتغال وفرنسا وفي الولايات الكبرى من مجموعة الدويلات الألمانية، ومع بداية القرن السادس عشر توطدت دعائم النظم القومية في انجلترا وفرنسا وإسبانيا.

في مجال السياسة الخارجية يعتبر النصف الثاني من القرن الخامس عشر من الفترات المهمة والحاسمة في تاريخ أوربا، فالدولة البيزنطية قد انهارت بسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وبدأت مرحلة جديدة بين الإسلام والمسيحية تتمثل في الدولة العثمانية ودول أوربا كلها، غير أن المد الإسلامي في الجهات الجنوبية الشرقية من أوربا قد تزامن مع انحسار في الأجزاء الجنوبية الغربية مثال ذلك سقوط غرناطة في عام ١٤٩٢م.

ولما ظهرت النهضة بدأ الناس يفكرون في النظم الحكومية، وجاءت النظرية التي تقول بأن مهمة الحكومة هي السهر على مصالح الأمة، فبدأ الناس يعتقدون أن أصلح الحكومات أقدرها على أداء هذه المهمة، وبدأ ما نسميه بالعلوم السياسية وظهر الإيطالى "ميكافيللى" بآرائه السياسية في كتابه "الأمير" الذي درسه كل من شغلته السياسة، والذي يتضمن دراسة واسعة عن الإستبداد من الناحيتين النظرية والعملية. وقد اعترض ميكافيللي على منازعة زعماء الكنيسة ودفعهم بأن الحكام السياسيين الزمنيين ينبغي لهم الخضوع للسلطة العليا لهيئة الكهنوت الروحية، وأصر على ضرورة استقلالهم عنها.

من الناحية الاقتصادية فقد أصبح المال، وهو دائماً قوة يُحسب حسابها في شئون البشر، أكثر توافراً في أواخر العصور الوسطى، ثم سرعان ما ازداد وفرة مع بداية القرن السادس عشر فقد نمت التجارة في كل الأقطار الغربية في أعقاب العامل الأول الذي أنعشها أثناء الحروب الصليبية، ونتج عن ذلك نشأة طبقة وسطى. وقد أدى اتساع نطاق التجارة الأوربية إلى ظهور حركة الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، التي ترتب عليها تغير كبير في النظم الاقتصادية الأوربية، فبعد أن كان الاقتصاد الأوربي اقتصاداً زراعياً راكداً أصبح اقتصاداً ذا طابع تجاري وزراعي، وبدأت الصناعة تنمو، مما ساعد على نمو المدن التي ازدحمت بالسكان وتحولت إلى سوق رابحة لتصريف السلع الصناعية، وقد جذب ذلك عدد كبير من أهل الريف المشتغلين بالفلاحة إلى المدن، حيث أحس الفرد أنه في هذا المجتمع الجديد يستطيع أن يعيش حراً دون أن يخضع للعبودية التي كان يخضع لها في ضيعة الإقطاعي، ولذا ازدادت الهجرة من الريف إلى المدينة حتى اندثرت قرى بأكملها.نتيجة للتحرر الاقتصادي وبداية التحرر الاجتماعي،ستكون الحرية بكل صورها من خصائص ومظاهر النهضة الأوربية؛ فأخذ تحرر النفوس يظهر في النطاق الديني.

على أية حال فإن حركة النهضة جاءت من خارج الكنيسة؛ وكانت علمانية وحاربت زيادة سلطة الكنيسة، وكانت عقلانية ورفضت وجود الكنيسة كواسطة بين الفرد والخالق، ولقد عملت هذه الحركة على إضعاف الكنيسة، وساعدت على إستمرار التغير الاجتماعي والفكري، ولقد اعتمدت حركة النهضة على سكان المدن ورجال المهن والتجارة،

والذين تزايدت الثروات في أيديهم، لم يكن الفرد في العصور الوسطى أصل المجتمع، وإنما كان يتمثل ذلك في الجماعة أو الطائفة أو النقابة، فالمرء كفرد لم يكن له وزن أو اعتبار وإنما كان له شأنه كتابع أو جزء من الهيئة التي ينتمي إليها، ولذلك لم يكن هناك مجال لنشاط المرء كفرد، ولا فرصة للظهور في المجتمع، وبالتالي لم تتهيأ له الظروف لإبراز شخصية مستقلة، لها حرية الرأي والتصرف، والطريقة الوحيدة التي كانت أمام رجل طموح يبغي الوصول إلى الرفعة والشهرة، هي انخراطه في سلك أكبر الطوائف حينئذ وهي الكنيسة، أما في عصر النهضة؛ فقد ظهر الفرد بنفسه في المجتمع، وأصبح بالتدرج أصله، بعد أن كانت الجماعة أو الهيئة، وبذلك تمهد السبيل أمام الفرد، لإظهار عبقريته واستغلال مواهبه كما يشاء.

ومن خصائص النهضة أن أفسحت للنساء مجالاً، وزادت في قيمتهن، لأن أهم ظاهرة في النهضة الإيطالية عبادة الجمال، وإحلال الفروق محل التقشف، وترك الأفكار المحزنة، والعناية بصحة الجسم ونشاطه فكثرت مناقشات السيدات في هذه الموضوعات التي تناسبهن، وقد تنوع نشاط النساء حتى شمل الرقص والغناء ودراسة الفلسفة والآداب القديمة، والعناية بالأسرة والملابس وحكم الأقاليم، وفي كل هذا أظهرن مقدرة كبيرة، ونشأت حول بعضهم دوائر للعلم والأدب، وفي هذه المجتمعات بدأت الفكرة الأوربية الحديثة، من أن حرية الإختلاط تحوط الأخلاق بسياج أقوى من سور العزلة.

كما تميزت هذه الفترة بظهور بعض الكتاب والأدباء الذين ثاروا على الروح القديمة، وحرروا عقولهم من بعض قيود العصور الوسطى مثل الإيطالي "دانتي اليجيري" الذي يعتبر أول من استعمل اللغة الإيطالية في التأيف؛ فنشر كتابه الشهير "الكوميديا الإلهية" وهو عبارة عن رحلة خيالية إلى الجحيم والمطهر والجنة. أيضاً بدأت روح البحث والنقد على الخرافات الذائعة والعقائد المضللة، بل قادت إلى التهجم عن الكنيسة ونقد رجال الدين، وطرح أفكارهم في كثير من الأحيان، ونتيجة لهذا التطور الفكري، ذاع كثير من النظريات العلمية الجديدة كفكرة كروية الأرض التي قام بنشرها "نيقولاس كوبر نيكس". ناهيك عن العالم الإيطالي "جاليليو" أول من استعمل المنظار في رصد الكواكب، وكان لروح البحث وحرية التفكير والتحرر من قيود العصور الوسطى أن حدثت عدة اختراعات

مثل اختراع البارود، أيضاً الإهتداء إلى استعمال "البوصلة" والاسطرلاب، يرجع إليه الفضل في تشجيع الملاحين على الإقدام ومواجهة الأخطار في سبيل تحقيق الغايات، مما أدى إلى الكشوف الجغرافية التي قلبت أوضاع العلم، كما أن اختراع "جوتنبرج" الطباعة، وكان الإنجيل أول كتاب طبع في عام ١٤٥٥م يعد أكبر اختراع في العصور الحديثة وقد أحدث انقلاباً عظيماً في عالم الكتابة والآداب.

الفصل الثاني

النهضة في الدول الأوروبية

النهضة في إيطاليا

تعد إيطاليا المهد الأول للنهضة في أوربا، حيث وصلت بها إلى حد الكمال والنضوج، ثم أخذت تنتشر منها إلى جهات أوربا المختلفة شيئاً فشيئاً، ولعل أهم دليل على بدء النهضة في إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوربية الأخرى هو تحرر المدن الإيطالية من سيطرة الإقطاع قبل غيرها من الدول الأخرى، وأصبحت عبارة عن دويلات صغيرة، وقد حكم هذه المدن حكام مطلقون. وقد تمثلت مظاهر النهضة في إيطاليا في الآتي:

١ – جمع المخطوطات:

قام الحكام بجمع المخطوطات القديمة المتواجدة بمكتبات الأديرة والكاتدرائيات، وقد أسهم أمراء الأسرات الحاكمة في المدن الإيطالية في جمع هذه المخطوطات والكتب القديمة النادرة، وأفدوا العلماء لهذا الغرض في أوربا والشرق، كما شجع الباباوات والكاردينالات هذه الحركة، وأنفقوا أموالاً طائلة للبحث عن هذه المخطوطات في إيطاليا والإمارات الألمانية وغيرها من أقطار أوربا. وكان أمراء إيطاليا وأثرياؤها يتنافسون على جمع المخطوطات، حتى أصبح اقتناءها مظهراً سائداً من مظاهر النهضة في إيطاليا، ولذا كان من الطبيعي أن تنشأ حول المخطوطات تجارة منتشرة، وكانت القسطنطينية بعد سقوطها مركز هذه التجارة، والواقع أن المخطوطات القديمة كانت المصدر الأول في حركة إحياء الدراسات القديمة.

٢ – إنشاء المكتبات العامة والخاصة:

كان من الطبيعي أن يترتب على جمع الخطوطات القديمة، الإهتمام بإنشاء المكتبات العامة والخاصة؛ ففي مستهل الخامس عشر الميلادى جمعت "جير سان ماركو" في فلورنسا مكتبة احتوت على ثمانمائة من المخطوطات القديمة التي اشتراها بماله

الأمير التاجر "كوزيمو دي ميدتشى" كما أنشأ في أواخر ذلك القرن مكتبة عظيمة في الفاتيكان، وقبل سقوط القسطنطينية، ترجمت كتب "أرسطو وأفلاطون وبلوتارك" إلى اللغة اللاتينية، وجاء بعض الإغريق إلى فلورنسا ليعلموا اللغة والفلسفة في جامعاتها، وكان هؤلاء العلماء هم الذين مهدوا لزملائهم الذين رحلوا إلى أوربا عام ١٤٥٣م بعد سقوط القسطنطينية.

وقد أنشئت مكتبات عديدة جديدة في نابولي وبافيا وغيرها ففي أوربينو أنشأ أميرها مكتبة عظيمة أنفق عليها أموالاً طائلة وكانت تضم عدداً وافراً من المخطوطات اللاتينية والعبرية، وجميع كتب الطب الموجودة ومؤلفات الكُتَاب الإيطاليين في القرن الرابع عشر، بل لقد تنافس الأمراء والأثرياء والمدن في إنشاء المكتبات التي ضمت المخطوطات والكتب وبعض قطع الآثار وروائع الفن، فزاد عددها في إيطاليا، وكان أشهرها مكتبة البندقية ومكتبة فلورنسا ومكتبة الفاتيكان.

٣- الأكاديميات:

كانت هذه الأكاديميات عبارة عن مراكز أو حلقات يجتمع فيها عشرات الطلبة حول الأساتذة للإستماع والدراسة، وعن طريق الأكاديميات التي انتشرت في إيطاليا انتشرت الحركة الإنسانية، وأقدمها في عصر النهضة نشأ في نابولي على يد "ألفونسو الخامس" صاحب أراجونة الذي كان حاكماً على نابولي عام ١٤٤٢م، وفي فلورنسا نشأت الأكاديمية ألفلورنسية أو الأكاديمية الأفلاطونية.

٤- تقدم علم التاريخ:

كان الإهتمام بالتاريخ هو المظهر الثاني من مظاهر النهضة والإحياء في إيطاليا، فلأول مرة أخذت الدراسة التاريخية على أساس المادة الموثوقة وليس على أساس الرواية والسماع، كما أخذت الدراسة التاريخية تصطبغ بالصبغة الزمنية، وتنتقل من يد رجال الدين إلى العلمانيين، وكان من أبرز مؤرخي عصر التهضة "لورنزو" الذي وُلِدَ ونشأ في روما، ثم صار قسيساً فكاتب سر ألفونسو الخامس صاحب أرجوانة، وقد قام في عام ١٤٠٠م "جين قسطنطين" الذي أثبت فيه بالدليل القاطع من واقع دراسة اللغة التي كانت

تكتب بها الوثائق، أن الهبة التي يبدو من أسلوبها – في زمن الإمبراطور قسطنطين–، وإنما كانت مزورة افتعلت في روما في زمن متأخر نحو خمسة قرون عن التاريخ الوارد بها، وقد حوكم بسبب هذا الكتاب، بل كاد يفقد حياته، لولا أن كان البابا في ذلك الوقت هو نيقولا الخامس، وكان باحثاً وسياسياً فأعجب ببحث فاللا وعينه موظفاً في الحكومة البابوية.

٥–ظهور اللغات الحديثة:

يعتبر نمو اللغات الوطنية واعتداؤها التدريجي على اللغة اللاتينية التي كانت لغة الأدب والعلم، حلقة الاتصال بين عصر النهضة والعصور الحديثة، فمنذ عهد الدولة الرومانية القديمة، كانت هناك لغة لاتينية عامية إلى جانب الفصحى، ولم تكونا لغتين مستقلتين بل كانت من أصل واحد، وتأثرت لغة العامة بالألفاظ المحلية والإقليمية وزاد الإختلاف والفوارق بين اللهجات العامية واللغة الفصحى، حتى تطورت هذه اللهجات إلى لغة ثانية هي اللغة العامية التي أصبحت مستقلة عن اللغة الفصحى، وقد دعت طائفة تطلق على نفسها اسم طائفة الإنسانيين إلى إحياء اللغات القديمة.

٦–تطور الفنون الجميلة:

كان من الطبيعي بعد أن خفت قبضة الكنيسة على الحياة الاجتماعية في أوربا، مع ظهور طبقة مادية النظرة إلى الحياة كالطبقة البرجوازية، أن ينعكس ذلك على الفنون، التي كانت في العصور الوسطى موجهة لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية بوجه عام، إذ دبت فيها روح علمانية متحررة من تزمت العصور الوسطى، وتمثل ذلك بصفة خاصة في فن الرسم وفن النحت وفن العمارة. وبالنسبة لفن الرسم فيعتبر الفن الأول لعصر النهضة في إيطاليا، وقد اصطبغ بصبغة دنيوية سافرة، وتحرر من قيود وتزمت العصور الوسطى، وتمثل ذلك في إبراز أجزاء جسم الإنسان وتصوير جمال الوجه والطبيعة، وقد تنافست المدن الإيطالية في هذا القرن، وبرزت فيها اثنتان هما: فلورنسا والبندقية. ومن أشهرهم "ليوناردو دافنشي" من أشهر صوره "الجيوكندا أو الموناليزا، و"مايكل أنجلو" الذي رسم صورة "يوم الحساب". ويعتبر ليوناردو وأنجلو زعيما المدرسة الفلورنسية، ويتميزان بأن نشاطهما الفني لا يقتصر على الرسم، بل يتعداه إلى بعض الفنون الأخرى، أما ليوناردو

فقد اشتمل نشاطه على التصوير والنحت والموسيقى والأدب والهندسة العسكرية والعلوم الطبيعية، وأن قامت شهرته على فن الرسم.

☒عوامل جعلت من إيطاليا المهد الأول للنهضة

١-المدن الإيطالية:

كانت مدن إيطاليا "فلورنسا ووجنوة والبندقية" مهيأة بموقعها ومركزها لاستقبال العلوم والفنون، فإن هذه المدن نفضت عنها أعباء العهد الإقطاعي كما سبقت الإشارة، وأصبحت مستقلة، لا سيد عليها غير القانون، وساعد الكفاح المستمر فيها على أعمال الفكر، وكثرت الثروة فيها بسبب اتساع تجارتها ووفرة صناعاتها، وانصرف طلاب العلم والفن إلى دراسة العلوم والآداب والفنون القديمة، ورأي الناس حولهم صوراً دقيقة الصنع، وأثاثاً فاخراً، وقصوراً شاهقة، فصرفوا المال لإشباع غاياتهم من الفن الجميل، وتخلص سكان هذه المدن من قيود العصور الوسطي. وقامت بهذه المدن حكومات مستنيرة قوية، وكانت أنظمة هذه الحكومات تشبه بوجه عام نظام الحكومات التي قامت أيام عظمة الحضارة الإغريقية القديمة، وكان من مميزات هذه الحكومات إشراك الشعب في سياستها، ومساندة أمرائها للفنون، فكان ذلك باعثاً للأدباء وأهل الفنون على النبوغ والإبداع ، ثم أخذت كل مدينة تنافس غيرها في عمل واقتناء أنفس الكتب وإبداع الصور، وتشييد أفخر المباني والمعاهد والكنائس.

٢-مركز إيطاليا الجغرافي :

إن وقوع إيطاليا في مركز متوسط على ساحل البحر المتوسط في عصر كان فيه هذا البحر مركز تجارة العالم، اكسبها أهمية لا تقدر، وقد أصبحت حلقة الاتصال بين أوروبا، وبلاد شرق البحر المتوسط، والشرق الأقصى، فاتسعت تجارتها ونمت صناعاتها، فكثر ثراء مدنها، كالبندقية وجنوة وفلورنسا وميلان، والثراء يولد الرغبة في الحرية، ويمهد السبيل للإشتغال بدراسة الفنون والعلوم والآداب. ونعرف أن الحضارة الإسلامية كانت مزدهرة أثناء العصور الوسطي، وأنها أسهمت بنصيب وافر في ميادين العلوم والفكر والإنشاءات والطب والفلك وعلوم البحر، وكانت مراكز الحضارة الإسلامية موجودة في كل

مكان، وكان أقربها إلى أوربا يتمثل في جامعات الأندلس في الغرب، وصقلية وتونس في الوسط. وكانت إيطاليا بفضل موقعها قريبة من أقاليم الدولة البيزنطية.

٣-الحضارة الرومانية القديمة:

ولما كانت إيطاليا مهد الحضارة الرومانية القديمة، فقد ساعد ذلك على أن تكون أسبق الدول إلى الدخول في ميدان النهضة، فقد كانت ذات الكنوز الدفينة في العلوم والآداب والنقش والتصوير والآثار والمسكوكات فجعل الإيطاليين على اتصال وثيق بآداب الرومأن وفنونهم وقوانينهم، فتأثروا بذلك، وتطلعوا ليكونوا ورثة أجدادهم الورمان، في إحياء مجدهم الذي أتت عليه الأيام.

٤- مقر البابوية:

كانت روما قِبلة العالم المسيحي الغربي، الأمر الذي كان يثير اعتزاز الإيطاليين بها، وكانت الكنيسة من القوي المضادة للتقدم والتطور، ولكن نزولاً إلى ميدان السياسة العلمانية والتوسع الإقليمي كإمارة ودولة، وصراعها مع الإمبراطورية، أدى بالتالي إلى ضعفها، وزاد من هذا الضعف انتشار الفساد فيها، الأمر الذي سهل مهاجمتها، ولقد أثرت الكنيسة من مواردها المالية من كل أوربا، وأخذ بعض البابوات المستنيرين ينفقون على نشر العلم وإنشاء المكتبات وجمع المخطوطات واقتناء الكتب وبناء الأكاديميات، وجمع القطع الفنية ن والعمل على تجميل مدينة روما، وأخذوا ينافسون أمراء إيطاليا في رعاية العلوم والفنون والآداب، وكان العلماء والفنانون يقصدونهم واشتهروا في التاريخ باسم بابوات النهضة. ولما كان الإيطاليون أقرب الشعوب إلى مقر البابوية، أصبحوا أشد من غيرهم ألفة واختلاطاً برجال الكنيسة، وأكثرهم وقوفاً على نقائص رجال الدين وعيوبهم وأخطائهم، أوسعهم علماً بما دخل الدين من بدع وخرافات لا تمت إلى الدين بنسب، ولهذا لم يعودوا يخافون تهديد الكنيسة، ولا يخشون سلطة رجال الدين، كإخوأدانهم خارج إيطاليا، فكانوا لذلك أسبق الشعوب في تحطيم قيود العصور الوسطي وأغلال الكنيسة.

أهم مراكز النهضة في إيطاليا: عمت النهضة كل إيطاليا، ولكن فلورنسا وروما قد برزتا في هذا المضمار، فقد كانت فلورنسا تحت حكم " اَل مدتشي "، وكانوا أمراء ديمقراطيين،

ذاع سيطهم في المقدرة الإدارية، وفي معاضدة العلوم والفنون، فبرع تحت رعايتهم "دوناتلو"، والذي أبدع في تمثيل حياة الناس وبخاصة الأطفال في تماثيل من المرمر والبرنز، وقد بلغ "جيبرتي" حد السحر في الحفر والباز، ومن مظاهر النهضة في فلورنسا قيام مدارس على النمط الذي دعا إليه " روسو" فيما بعد، من بغض الترف وحب البساطة، والجمع بين البنين والبنات في مدرسة واحدة، بقصد تخريج أناس مثقفين بدنياً وروحياً لا مجرد فلاسفة.

النهضة في انجلترا

في انجلترا فقد تأخر ظهور النهضة بسبب ما عانته من حرب المائة عام التي انتهت بطرد الانجليز من فرنسا عام ١٤٥٣م، ولم يمض عاماًن على نهاية هذه الحرب الطويلة، حتى بدأت حرب جديدة معروفة باسم "حرب الوردتين" (١٤٦١- ١٤٨٥)م، وبعد أن تركت انجلترا محاولتها احتلال فرنسا، عملت على بسط نفوذها على الجزر البريطانية، وعلى ضرب الإقطاع الموجود داخل المدينة، والتوسع في التجارة، وإنشاء المستعمرات فيما وراء البحار، ويرجع الفضل في كل ذلك إلى حروب الوردتين. وفي عام ١٤٩٥م هاجمت فرنسا روما ونابولي، ولكن قوات البابا مع جيوش روسيا وانجلترا وإسبانيا هاجمت القوات الفرنسية، وأجبرتها على الإنسحاب من نابولي، كما اشتركت القوات الإنجليزية مع القوات البابوية والسويسرية والإسبانية عام ١٤٩٩م القوات الفرنسية التي احتلت نابولي مرة جديدة، واضطرتها إلى التراجع عام ١٥٠١م، وكان استمرار الحروب في انجلترا من أهم أسباب تأخر ظهور النهضة فيها، وبعد نهايتها أخذت الدراسات الإسبانية طريقها إلى انجلترا من خلال بعض الانجليز العائدين من إيطاليا ومدنها. ومنذ أوائل القرن السادس أخذ طلاب المعرفة من جامعة اكسفورد يفدون إلى إيطاليا للإطلاع على آداب وفنون وعلوم النهضة الإيطالية، وقد نادت النهضة في انجلترا بتحرير الفكر والبحث العلمي من حواجز وقيود الكنيسة، كما دعت إلى كنيسة قومية متحررة من سيطرة البابوية، وفي انجلترا أظهر المسرح المتنوع الملئ بالمغامرات والمفاجآت.

النهضة في فرنسا

من إيطاليا أيضاً سرت النهضة إلى فرنسا، فوجد العلماء والشعراء والفنانون أرحب صدر في ملوك فرنسا وأمرائها، من لويس الحادي عشر إلى فرانسوا الأول، على أن روح النهضة تتمثل في "مرجريت" أخت فرانسوا؛ إذ كانت مرجريت فنانة شاعرة واسعة الإطلاع، لا تنقطع الرسائل بينها وبين إرسمس، ومن أساطير النهضة الفرنسية "فرانسوا ريليه" وكان أول أمره راهباً، ثم صار طبيباً وداعياً إلى البحث العلمي، وهو أول فرنسي خالف أمر البابا، وشرح جثة إنسان، وكان رابليه متعطشاً لتحصيل العلم والفضيلة والتجربة. مرت فرنسا بفترة صعبة في تاريخها، في الوقت الذي ظهرت فيه النهضة في إيطاليا، بسبب الحروب الطويلة التي خاضتها مع انجلترا لاحتلالها بعض مدن إيطاليا، وأدت هذه الحروب إلى ضعف فرنسا خاصة مع تحالف كثير من الدول الأوربية ضدها مثل قوات البابا والبندقية وسويسرا وانجلترا وإسبانيا وبعض الدويلات الألمانية، ولكن بعد غزو فرنسا إيطاليا، شجع ملوك فرنسا عدداً من العلماء الإيطاليين والبيزنطيين على المجئ إلى باريس لتدريس اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية فيها ثم زاد ظهور إعجاب ملوك فرنسا بالنهضة، وقد شجع فرنسوا الأول هذه الحركة في بلاده وأنشأ كلية فرنسا عام ١٥٣٠م، خارج نطاق جامعة باريس، كما انتشر في النحت والرسم الفلمنكي غرباً إلى فرنسا، كما أثرت فرنسا في الفلاندرز.

الفصل الثالث

الكشوف الجغرافية

كانت البرتغال أول دولة أوربية بدأت حركة الكشوف الجغرافية، وقد حظيت فكرة الكشف هذه بتأييد ورعاية الأمير البرتغالى المعروف "هنري الملاح"، وكان هنري ملماً بالجغرافيا والرياضيات التي عرفت أنذاك، كما كان مسيحياً متحمساً لنشر المسيحية بين سكان القارة الأفريقية، وقد قاد هنري حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية، كما كان رئيساً لهيئة اليسوعيين "الجزويت" وبالتالي كان يهمه العمل على كسب أراضي وميادين جديدة للمسيحية، وقد أمضي نحو أربعين عاماً في إعداد الحملات الإستكشافية وإرسالها إلى شواطئ أفريقيا الغربية، حتى تم كشف بعض الجزر المهمة في المحيط الأطلسي مثل جزيرة "ماديرا" فى عام ١٤٢٠م، وجزر كاناري وجزر أزور فى عام ١٤٣١م، هذا زيادة على بعض المراكز على شاطئ أفريقيا مثل "الرأس الأبيض" عام ١٤٤١م، و"الرأس الأخضر" عام ١٤٤٦م، وبذلك حقق هنري غرضه في الوصول إلى بلاد غانا، وعلى وجه العموم فإن طبيعة الاستعمار التجارية البرتغالية أنعكست على قصر اهتماماته على الأشرطة الساحلية مثل (ساحل غانا وساحل الذهب وساحل العاج وساحل الزنج وساحل مالأبار.....الخ).

وبدأت تجارة رابحة بين بلاد غانا وبين البرتغال، إذا بدأ التجار والملاحون يقتنصون العبيد من تلك الجهات وينقلونهم إلى أسواق أوربا، وحنوامن هذه التجارة ربحاً وفيراً أغري الكثير من التجار بالمغامرة والقيام برحلات متوالية إلى جهات أفريقيا الغربية، ساعدت على التوسع في حركة الكشف، وكانت موضع تشجيع الأمير هنري حتى مات عام ١٤٦٠م[١٣]، وقد أثرت وفاة الأمير هنري الملاح في حركة الكشف الجغرافي، ولكنها لم تتوقف هذه الحركة بعد أن أثبتت التجارب للبرتغاليين أن أفريقيا تهيئ لهم مورداً غنياً بالرقيق في وقت وجد البرتغاليون في تجارة الرقيق بالذات مصدراً هاماً للثروة، حتى أن هنري الملاح يعتبر مؤسس هذه التجارة في أوربا.

ومن خلال الفترة من (١٤٧٠-١٤٨٢)م تم اكتشاف الجزء المتبقي من ساحل غانا، كما أن البرتغاليين في عام ١٤٧٥م وصلوا إلى رأس كاثرين وفي عام ١٤٨٢م استطاع " ديجو كام أن يحمل النفوذ البرتغالى إلى مصب نهر الكنغو فوصل إلى "رأس سانت ماري". وفي عام ١٤٨٧م كانت رحلة " بارثولوميو دياز" التي كان الغرض منها الوصول للهند وايجاد مملكة القس بريسترجون التي قيل أنها تبعد قليلاً عن الساحل الغربي لأفريقيا كما كان يهدف للوصول إلى بلاد الطرف الجنوبي لقارة أفريقيا، وقد نجح في مهمته، ثم عاد إلى بلاده يحمل أكاليل النصر، ونظراً لما قاساه من هول الزوابع عند طرف القارة، أُطلق عليه "رأس الزوابع" وذلك بسبب العواصف الشديدة التي صادفها حولها، دياز أن ساحل القارة ينحرف في اتجاه الشمال الشرقي فعاد أدراجه إلى لشبونة، ولكن ملك البرتغال عندما أيقن أنه حقيقة الطرف الجنوبي للقارة وأن هذا الكشف يشير إلى الوصول إلى الهند، سماه "رأس الرجاء الصالح".

عند هذا الحد وقفت جهود البرتغاليين لمدة عشر سنوات، حدث خلالها ذلك الكشف الإسباني؛ فقد كشفوا طريقاً إلى الهند أقصر وأسهل من طريق جنوب أفريقيا، ولكن لما عرف أن طريق كولمب ليس قصيراً، تحرك ملك البرتغال "عمانويل الأول" أو السعيد " وأمر في ١٤٩٧م باستئناف الحركة الكشفية، فأرسل الرحالة الكبير " فاسكو دي جاما إلى ممبسة وغيرها من ثغور شاطئ أفريقيا الشرقي، التي كانت تسكنها جماعات من تجار العرب، الذين أخذوا ينقمون من الأوربيين لتدخلهم في تلك الجهات لاحتكارهم تجارتها وتجارة الهند والشرق الأقصي، ولذلك رفضوا أن يرشدوه إلى الطريق الموصل إلى الهند، خشية أن يهتدي الأوربيون إلى طريق الهند، وينقلون تجارتها بحراً فينافسوا العرب.

غير أن فاسكوا وجد بغيته في " ملندي اذ قبل بحار عربي هو "أحمد شهاب الدين بن ماجد" أن يهديه إلى مدينة "كاليكوت على الشاطئ الغربي للهند في ١٤ من مايو ١٤٩٨م بعد ٢٢ يوماً من مغادرته ماليندي، ولم يحسن سلطانها الملقب "زامرين" (أي سيد البحار) استقباله في أول الأمر، خاصة وأن تجارب العرب افهموا " زامرين" أن البرتغاليين ليسوا إلا لصوص بحر، ولكنه عاد وقربه إليه، وعقد معه معاهدة تجارية، عاد بعدها إلى "لشبونة"محملاً بالمتاجر الهندية والشرقية، وكان "دي جاما" بعمله هذا، أول

من فتح باب الاستعمار في الشرق، فقد هون لملكهم عمانويل الأول أمر العرب وأظهر له إمكان التغلب عليهم وأوضح له أن وسائل دفاعهم ضعيفة وأنه يمكن تأسيس دولة برتغالية عظيمة في بلاد الشرق، وخرج "دي جاما" مرة ثانية إلى الهند ١٥٠٢م وأخذ يحارب الزامرين حتى هزم جيوشه في موقعة فاصلة قتل فيها الزامرين، مما أوجد في نفوس الأهالي البغض للبرتغاليين، وصمم البرتغاليون على القضاء على العرب والمسلمين في جميع البحار وتكوين دولة برتغالية قوية تسيطر على تجارة الشرق، بالاستيلاء على شاطئ أفريقيا الشرقي، والاستيلاء على هرمز عام ١٥١٠م وعدن ١٥١٣م مفتاحي الخليج العربي والبحر الأحمر، وقد تم لهم ذلك .

وكان العرب يحتفظون باحتكار التجارة في المحيط الهندي ينافسهم في ذلك البنادقة، ولكن الفتوحات العثمانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلأدبين حددت المحطات والمراكز والمستوطنات التي أقامها البنادقة، والتي كانت تدر لهم أرباحاً مهولة، فقد كان تجارها يسيطرون على تجارة البهار، وتأثر البندقية بهذا التوسع العثماني، ولم يكن هدف البرتغاليين إلا أن يحطموا هذه المنافسة المزدوجة، ويضمنوا لأنفسهم احتكار تجارة الهند، وينتهزوا الفرصة على سواحل أفريقيا ومهاجمة المنشأت العربية في المحيط الهندي وقاموا بتنفيذ ذلك بحماس ووحشية، فأخذوا في إحراق سفن العرب، وفي هدم المدن والمراكز الإسلامية وطرد التجار، وادعوا أنها كانت حربا صليبية ضد المسلمين، وتحول المحيط الهندي إلى بحر برتغالى.

في عام ١٤٨٧م رأي البرتغاليون ضرورة بسط نفوذهم السياسي والحربي على الحبشة لتأمين طريقهم التجاري للهند، وكانت لديهم معلومات جديدة عن هذه البلاد، جمعوها عن طريق الأهالي وبواسطة بعض الرحالة مثل " كوفيلهام" الذي زار البلاد في نفس العام، ناهيك عن قيام بعثات التبشير بدور كبير في الكشف الجغرافي في هذه المنطقة) أدى إلى وجود تحالف صليبي قام بضغط متواصل على الصومال، ساعد الحبشة في حربها ضد الصومال بدافع من التعصب الديني، ورغبة هؤلاء الصليبين في السيطرة على الصومال وبسط نفوذهم عليه. وقد حالت قوة المسلمين الموجودة على سواحل

المغرب دون تحقيق هدف أوربا وهو القضاء عليهم، مما أدى إلى جعل البرتغاليين يتوقفون قليلاً ليضعوا مخططاتهم المدروسة فقرروا مايلي:-

١- اكتشاف طرق تجارية غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون وبهذا يصل الأوربيون إلى الشرق، وينافسون المسلمين الذين سيفقدون ما يجنون من الأرباح من تجارة يسيطرون على طرفها.

٢- عند الوصول إلى الشرق يجب السيطرة على تلك المناطق لإمكان التطويق التام والإستعداد لقتال المسلمين.

٣- العمل على نشر المسيحية في البلاد التي يدخلونها وحث النصاري على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها .

٤- الاتصال بنصاري الشرق وحضهم على العمل معاً لاجتثاث جذور الإسلام.

٥- الإفادة من كل خلاف بين المسلمين.

☒ حركة الكشوف الإسبانية

إذا كان اكتشاف أمريكا الشمالية قد ارتبط باسم كولومبوس فإن معرفة أمريكا اللاتينية التصق باسم الرحالة الفلورنسى "أمريجو فيسبوتشي" ولذي لعب دوراً كبيراً في اكتشاف العالم الجديد، وعليه فقد أطلق اسم أمريكا على هذا العالم الجديد نسبة إليه، إذ أنه كان قد اصطحبه كولومبوس في إحدى رحلاته عام ١٤٩٩م، والذي كان من أوائل من وصل إلى القارة الأمريكية، وكان أول من نادى بأن الأرض الجديدة لم تكن آسيا فأصر "لوران دي مدسيس" على اطلاق اسمه على العالم الجديد، رغم أن الأوربيون ظلوا لمدة طويلة يسمون العالم الجديد باسم الهند.

ويعتبر كولومبوس رائد حركة الكشوف الإسبانية، والذي كان من إيطاليا من جنوة، درس الجغرافيا والرياضيات والفلك، بل وكان شاعراً ومسيحياً وواقعياً في نفس الوقت؛ كان شاعراً لأنه تأثر بالكتابات والروايات المنتشرة في عصره، ومسيحياً لأنه كان مستعد للقيام بحملة صليبية جديدة، وأما واقعياً لأنه اعتقد في أن الأرض كروية، وأنه يمكنه أن يجد في الغرب، ما قامأجدده بالبحث عنه الشرق.

وكانت الفكرة السائدة لدي الكثيرين في ذلك الوقت، أن الأرض منبسطة وليست كروية كما كان يعتقد، ولهذا أخذ هؤلاء ينبهونه على تهوره ويضحكون منه لجنونه، لكنه لم يعبأ بهم، وقد طلع لسامعيه بفكرة جديدة جريئة من الوصول إلى شرق آسيا وبلاد الهند وبالسير غرباً عبر المحيط الأطلنطي، لا بالسير شرقاً أو جنوباً، لم يعبأ بالخرافات السائدة آنذاك عن هذا المحيط وما فيه من أجنة وشياطين ونيران، وكان هذا العمل يحتاج إلى المال والرجال، وليس لديه من ذلك شئ، فعرض مشروعة على ملوك أوربا وأمرائها الذين رفضوا تمويل مثل هذا المشروع، فأرسل أخاه لعرض المشروع على هنري السابع عام ١٤٨٥م ملك انجلترا فتردد، فعرض المشروع على "فريديناند وايزابيلا" ملكي إسبانيا فقبلا مساعدته رغم نصائح رجال الدين وكبار رجال الدولة برفض مشروعه وعقدا معه معاهدة وأنعما عليه برتبة أدميرال أعظم على كافة البحار والجزر والقارات التي يكتشفها، على أن تؤول هذه الممتلكات لأولاده من بعده.

وجهز كولمبس ثلاث سفن عليها تسعون بحاراً وثلاثون مسافراً بينهم طبيب وجراح ومترجم وموثق، وأقلع بها من "بالوس" جنوب جزائر كناريا، ثم إلى عرض البحر "المحيط" دون أن يعلم أنه بدأ حركة للاستعمار في تاريخ العالم، واستمرت الرحلة نحو ٧٠يوماً، حاول فيها مساعده أن يحاول اتجاه السير قليلاً إلى الجنوب، بدلاً من مواصلة السير صوب الغرب، ولولا هذا التغيير لوصل كولمبس إلى فلوريدا، ولأصبحت الولايات المتحدة مستعمرة إسبانية، ولكن وصل إلى إحدى جزر البهاما في شمال كوبا، وعندما نزل كولمبس إلى الشاطئ ركع وقبل الأرض وحمد الله، ثم أشهر سيفه ورفع علم قشتالة، وأمر الموثق بتحرير وثيقة للاستيلاء على هذه الأرض باسم فرديناند وايزابيلا في عام ١٤٩٢م.

أما الأهالي فقد خافوا من رؤية السفن والأشرعة والرجال الإسبانيين، ثم أخذوا في الإقتراب منهم لمحاولة التعرف عليهم، فمنحهم كولمبس بعض الخرز والأجراس الصغيرة التي كان قد أحضرها معه، وكان لون الأهالي داكناً، وأطلق الإسبانيون عليهم اسم الهنود وبقي هذا الإسم مستعملاً حتى الآن، وواصل كولمبس حملته من جزيرة إلى أخرى باحثاً عن الذهب والتوابل والخان الأعظم الذي كان يحمل له خطاب توصية من ملك إسبانيا وكان الأهالي يدلونه على أن الذهب يوجد عند القبائل المجاورة لهم، وبدلاً من التوابل لم

يجد سوي القطن، إلا أنه لاحظ نباتات وشجيرات كثيرة، يمكن استخدامها في الصباغة وفي الصيدلة والطب في أوربا، ثم وصل هايتي وسماها هيسبانيولا وبني فيها قلعة، وترك فيها تسعة وثلاثيين بحاراً كانوا أول المعمرين من أوربا في العالم الجديد.

عاد كولمبس إلى إسبانيا ليعلن في البلاد وأمام كبار رجال المملكة اكتشافه الجديد، ثم قام كولمبس برحلته الثانية في ١٤٩٣م وكان هذه المرة أحسن تجهيزاً وأكثر عدداً، فتألفت حملته من سبع عشرة سفينة عليها ١٥٠٠ رجلاً، فتوجهوا إلى جزر الأنتيل أولاً ثم توجه إلى هايتي ليكتشف أن السكان قد قضوا على الإسبان الذين أبقاهم في المستعمرة في المرة السابقة فأقام مستعمرة أخرى جديدة بدلاً منها.

قام كولمبس بعد ذلك برحلتين إلى تلك الجهات، كشف في الثانية منها عام ١٤٩٨م جزيرة "ترينداد"، وأبصر شاطئ أمريكا الجنوبية، ولكن أعداءه وشوا به، وأعادوه إلى إسبانيا مكبلاً بالأغلال ذليلاً، ولم ينقذه من هذا الذل وتلك المعاملة القاسية إلا الملكة " إيزابيلا" التي كانت تعطف عليه، وبموتها بعد قليل أهمل أمره وقام برحلته الأخيرة سنة ١٥٠٢م، ووصل فيها إلى شواطئ أمريكا الوسطي بالقرب من بنما، ثم عاد إلى إسبانيا منزوياً متألماً لنكران جميله وجحود فضله، ومات سنة ١٥٠٦م، وهو لا يعلم أنه كشف عالماً جديداً، بل كان على اعتقاده أنه وصل إلى شرق آسيا، ولذلك لم يطلق اسمه على القارة الجديدة وبعد إبعاد كولمبس عن أعمال الفتح والاستعمار زاد عدد المكتشفين والباحثين عن المجد والثروة في البلاد، ومن أبرزهم فسبوتشي، وكان دوره في اكتشاف أمريكا هو في الحقيقة أقل من دور سلفه كولمبس، حتى وفاة هذا الأخير كان من المعتقد أن الأرض المكتشفة حديثاً ليست قسماً من البر الأسيوي، وقد نشرت في أوربا عدة رسائل من فسبوتشي يثبت فيها نظريته، وهذا ما دفع الناس لإطلاق اسم أمريكا على القارة الجديدة، وبعد وفاته بسنة واحدة أي فى عام ١٥١٣م آتي الرحالة الإسباني بالبو بدليل جديد على صحة نظرية فسبوتشي إذا أنه وصل في اكتشافاته داخل الأرض الجديدة إلى المحيط الأطلنطي؛ فأثبت أن الأرض الجديدة أمامها بر ووراءها بحر فجاء اكتشافه تصديقا لنظرية سلفه.

وكان العالم الجديد يشتمل على إمبراطورييتين حتى وصول كولمبس هما إمبراطورية "الأزاتكة" في المكسيك، وإمبراطورية "الأنكا" في بيرو، وكانوا قد استعمروا غيرهم قبل أن يقوم الإسبان باستعمارهم، أما إمبراطورية الأزاتكة فكانت تمتد من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهادى، ومن هضبة المكسيك حتى نيكاراجوا، وكان الأزاتكة قد جاءوا من الشمال في القرن الثالث عشر، وأنشأوا مدينة في وسط المستنقعات، وفي المكان الذي شاهدوا فيه نشراً كبيراً يأكل حية ضخمة، فأعتقدوا أنها إشارة من ربهم "مكسيتلي" لوقوف سيرهم وبناء عاصمتهم، التي ستحمل اسم "مكسيكو"، وسرعان ما اتحدت القبائل المجاورة أو خضعت ودفعت الجزية، وسادت قوانين الأزاتكة، وكان الأزاتكة يحبون الدماء، وكانوا يتركون للفرد حرية اختيار مستقبلة، ولكن على أساس احتفاظ الدولة بحق التضحية به، بمجرد أن تطلب الإلهة تقديم القرابين والأُضحيات لها، وقام الأزاتكة بذبح عشرين ألف رجل، وبإحراق قلوبهم بعد انتزاعها من أجسادهم، كضحية لافتتاح "معبد مكستيلي"، وكان الأزاتكة يسلخون بعض البنات وهن إحياء في احتفالات عودة فصول معينة في كل عام.

أما المجتمع فكان أوليجاركياً في أول الأمر، وله مجلس شوري، وينتخب رئيسين مدي الحياة: الأول لإدارة الأمن ولجمع الضرائب، والثاني لقيادة الجيش وللإشراف على الكهنة ثم تفوق الثاني، وأصبح امبراطوراً وراثياً، وكانت السلطة تمر بعد وفاته إلى أخيه أو إلى اقرب أقربائه من ناحية الأم، وكان الأزاتكة يعرفون الذهب والرصاص والبرونز ولكنهم كانوا يجهلون الحديد، وكانت تجارتهم بدائية تعتمد على المبادلة والمقايضة، أو تستخدم بعض قطع القصدير أو النحاس أو كمية من التبر في أنابيب من ريش الطيور كعملة بدائية.

أما إمبراطورية الأنكا فكانت قد نشأت في الأقاليم الإستوائية من أمريكا اللاتينية في بداية القرن الحادي عشر، وكان الأنكا الأعظم هو رأس التشكيل السياسي لهذه الدولة، ويعتقد أنه من سلالة الشمس ويمثلها على الأرض، وكان يسيطر على رؤساء القبائل أو الكاباك، وكانت جماعات الأنكا تشتمل على عشرة أو خمسين أو مائة أو خمسمائة أو ألف رجل، ثم على وحدات أخرى أكبر من عشرة آلاف ومائة ألف، أما الأراضي فكانت ملكاً للأنكا كما كانت في مصر القديمة ملكاً للفرعون، وكان على الأهالي زراعتها على أن

يقسموا المحصول إلى ثلاثة أقسام: الأول للشمس أي للكهنة، والثاني للدولة أي للعجزة والأرامل والأيتام، والثالث للمجتمع ويقسم بين الأسر الموجودة، ولم يتوصل الأنكا إلى ما توصل إليه الأزاتكة من التقدم في العلوم الرياضية والفلك ولكنهم بلغوا درجة كبيرة من التقدم في الهندسة والمعمار، وكان الأهالي يعرفون صهر النحاس وتشكيل البرونز والذهب ونسج الصوف وبناء القصور والمعابد والحصون، ولم يتوصلوا إلى معرفة الكتابة ولكن كانت لهم طريقة ساعدتهم على التذكر وهي المعروفة باسم الكيبو، وقدر العلماء سكان إمبراطورية الأنكا بأثني عشر مليوناً، وهو عدد يقارب عدد سكان إمبراطورية الأزاتكة.

أما بقية القارة فكان يعيش فيها بضعة ملايين أخرين موزعين بدون حكومات وبدون حضارات هامة، وكان الهنود الحمر بصفة عامة لا يتورعون عن قطع رؤوس أعدائهم بعد الانتصار عليهم، ويجمعون هذه الرؤوس أويعلقونها، وروي كولمبس نفسه أنه رأي بعض بقايا جسم بشري تطهي في قدر على النار، واستند في ذلك إلى الهنود الحمر كانوا يأكلون لحم البشر، في نفس الوقت الذي يأكلون فيه لحوم الببغاوات.

أما عن غزو الإسبان لأمريكا واستعمارها فقد تمثل في فتح المكسيك وبيرو موطن الإمبراطوريتين (الأزاتكة والأنكا) فقد سمع الغزاة الإسبان عن بلاد يكثر فيها الذهب والفضة فعهدوا إلى حملة بقيادة "فرديناند كورتيرز"(١٤٨٥ –١٥٤٧)م فتح هذه البلاد التي يطلق عليها الآن اسم المكسيك وكانت تعيش بها قبائل بعض بقايا جيش بشري تُطهي في قدر على النار، وأُسند في ذلك إلى أن الهنود الحمر كانوا يأكلون لحم البشر، في نفس الوقت الذي يأكلون فيه لحوم الببغاوات.

أما عن غزو الإسبان لأمريكا واستعمارها فقد تمثل في فتح المكسيك وبيرو موطن الإمبراطوريتين "الأزاتكة والأنكا"، فقد سمع الغزاة الإسبان عن بلاد يكثر فيها الذهب والفضة فعهدوا إلى حملة بقيادة "فرانك كورتيز" (١٤٨٥–١٥٤٧)م، والذي فتح هذه البلاد التي يطلق عليها الآن اسم المكسيك وكانت تعيش بها قبائل الأزاتكة ويحكمها رئيس يدعي " منتزوما" وقد استطاع خلال سنتين أن يسيطر على هذه القبائل وقتل رئيسها وبذلك سقطت دولة الأزاتكة ، وبدأت كنوزها من الفضة تتدفق إلى خزائن إسبانيا كمت نقل

كورتيز إلى أمريكا ما لم يكن بها من الحيوان والنبات، وأرسل إلى إسبانيا بعض ما وجد مما أدهش أوربا، وكان كورتيز يطلب من الأهالي الكثير من الذهب بدعوي أنهم مرضي بالقلب، وأن علاجهم لم يكن سوي الذهب.

بعد أن قضي كورتيز على مقاومة سكان المكسيك الأصليين والقضاء على امبراطوريتهم الأزاتكة التي كانت تعتبر أقوي تجمع سياسي بين سكان أمريكا الأصليين، احتل كورتيز فيما بعد عام (١٤٢٤-١٤٢٥)م بلاد الهندوراس والتي ضمها إلى أملاك إسبانيا، كما أن رجاله احتلوا بلاد جواتيمالا، وتوغلوا في فتوحاتهم حتى وصلوا إلى كاليفورنيا

☒ رحلة ماجلان:

كان ماجلان من أصل برتغالى، شارك في بعض الرحلات الكشفية البرتغالية، وكانت رحلته الشهيرة حول العالم هي التي جلبت له الشهرة، وهي قام بها لحساب الإسبان بعد أن عارضه ملك البرتغال في تنفيذ فكرته القائلة بإمكانية الوصول إلى الشرق حيث توابل والخيرات عن طريق الإلتفاف حول أفريقيا، وهو طريق الإتجاه غرباً عبر المحيط الأطلسي ثم الإلتفاف حول أمريكا الجنوبية، وحينما عرض ماجلان فكرته هذه على ملك إسبانيا رحب حيث أنها ستحقق له هدفه في الوصول إلى منطقة التوابل دون حدوث سوء تفاهم بينه وبيين البرتغال إذا سلك نفس طريقهم إلى الشرق، وتحمس ماجلان وزميله الذي كان يمثل العقل المفكر لماجلان وهو "روي دي فالييروا" ولم يكن حماسهما لتنفيذ فكرتهما فحسب بل للرد على إهانة البلاط البرتغالى لكليهما وأعراضه عن أفكارهما، وجهز لهما الملك شارل الأول خمس سفن بالرجال والسلاح والعتاد، وأقلعت السفن الخمس بقيادتهما في أغسطس ١٥١٩م.

بعد وصول ماجلان إلى سواحل أمريكا الجنوبية تعرض لمحاولة اغتيال من قبل قادة السفن الذين كانوا يحقدون عليه، ولكنه نجا منها وقتل اثنين منهم وترك الآخرين على الساحل، ثم سار جنوباً بمحاذاة الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية حتى وصل إلى نهايتها الجنوبية، ووجد مضيقاً عرف فيما بعد بـ "مضيق ماجلان"، فعبره إلى المحيط الهادى وقد سماه بالهادى لخلوه من الزوابع التي تكثر في المحيط الأطلسي، ثم واصل

سيره بالمحيط نحو من ثلاثة أشهر لاقي فيها كثير من المتاعب، وفي مارس ١٥٢١م وصل إلى مجموعة الجزر التي عرفت فيما بعد باسم الفلبين نسبة إلى فيليب ابن الإمبراطور، وبعد أن نجحت في ضم بعضها إلى إسبانيا لقي مصرعه نتيجة تدخله في المشاكل الداخلية لهذه الجزر.

وسارت الرحلة بعده في طريق عودتها لإسبانيا حيث عادت في سبتمبر ١٥٢٢م أي بعد سنوات ثلاثة من إقلاعها، وقد نقص عدد رجالها بشكل كبير، وعانت المجموعة الباقية من الجوع والمرض وسوء الأحوال الجوية، وتعد رحلة ماجلان من أهم الرحلات التي سجلها التاريخ خاصة وأنها اكدت نتيجة هامة لم تؤكد كافة الرحلات السابقة لها وهي "كروية الأرض"، وحقيقة وجود القارتين الأمريكيتين الجديديتين، والتعرف على المحيط الهادى، وساعد ذلك على تشجيع الحكومة لمواصلة هذه الرحلات، وزادت أطماعها التوسيعية، وهجرة كثير من الإسبان الذين استوطنوا المناطق الجديدة، رغم خشية الإسبان من حدوث تصادم مع البرتغاليين مما جعلهم يقلعون عن تجارة التوابل كتجارة رئيسية، وذلك بعد أن اكتشفوا الكثير من مناجم الذهب والفضة.

☒ حركة الكشوف الانجليزية والفرنسية

كان من نتائج هذه الكشوف التي ذكرناها، أن قلت أهمية البحر المتوسط وبالتالي أهمية مصر والبندقية وغيرهما، وأصبح المحيط الأطلنطي مركزاً للتجارة بين أوربا وأمريكا وصارت البلاد الواقعة عليه في وسط العالم التجاري، بعد أن كانت على حافته القصوي وأحست انجلترا وفرنسا وهولندا أنها لاتقل في الامتياز عن البرتغال وإسبانيا، فسعت إلى نيل نصيب من تلك الغنائم.

فأرسل الملك هنري السابع ملك انجلترا ومؤسس أسرة التيودور سنة ١٤٩٦م " جون كابوت" للوصول إلى الهند من طريق الشمال الغربي فكشف "لبرادور" ثم كشف أكبر أبنائه جزيرة "نيو فوند لاند" وتقع على قرب شاطئ فلوريدا واستعمرت انجلترا بعد ذلك الجهات المعروفة الآن باسم الولايات المتحدة الأمريكية، وفي السنة التالية قام كابوت برحلة ثانية اكتشف فيها الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية وقد نتج عن ذلك تمهيد الطريق لاستعمار

انجلترا لجزء كبير من العالم الجديد، كما تمكن الانجليز أيضاً من التقدم من خليج هدسن إلى داخل القارة فوصلوا إلى جبال روكي والمحيط المتجمد الشمالي.

أما بالنسبة لفرجينيا؛ فقد أرسل "سير والتر رالى" بتصريح خاص، أما "داس" و"بارلو" فنزلا بجزيرة رونوق عام ١٥٨٤م، وأطلقا على الإقليم اسم "فرجينيا"، وقد أرسلت سفن تحمل المؤن عام ١٥٨٦م ولكنها وجدت المستعمرة مهجورة، إذ كان "دريك" قد عاد بالمستعمرين إلى انجلترا، وأرسلت طائفة أخرى من المستعمرين بقيادة الحاكم جون هوايت، وعند عودته عام ١٥٩١م لم يجد هوايت سوي اطلال المستعمرة وخرائبها، وشهدت الفترة من عام ١٦٠٢م إلى ١٦٠٤م تنظيم عدد من الرحلات إلى أمريكا كان الأحوالها تلك التي قام بها جورج وايموث عام ١٦٠٤م، وقد توجه وايموث لرؤية ساحل نيو انجلاند وتضمن تقريره المرضي مايثير الرغبة في تأسيس مزيد من المستعمرات .

أما بالنسبة لفرنسا فقد دخلت ميدان الكشوف الجغرافية متأخرة بعض الوقت عن البرتغال وإسبانيا وانجلترا، حيث وصل جماعة من صائدي الأسماك من نورماندیا وبريتاني إلى سواحل نيو فوندلاند في حوالي عام ١٥٠٠م، وهناك أخبار تفتقر إلى اثبات عن محأولات لارتياد خليج سانت لورانس في عامي ١٥١٨م، ويحتمل أن يكون جيوفاني دي فيراتزاني الذي أرسله فرنسيس الأول ملك فرنسا قد كشف الساحل الأمريكي من "كيب فير" حتى نيو فوندلاند.

أرسل فرنسوا الأول ملك فرنسا "جاك كارتيه" قصد الذهاب إلى الهند بالطريق الشمالي الغربي فكشف مصب نهر سنت لورانس سنة ١٥٣٤م، وتلا ذلك استعمار الفرنسيين كندا وحوض نهر مسيسي، مما أدى إلى الإصطدام مع الانجليز سنة ١٧٥٤م، عموماً أن حركة الكشوف الفرنسية في العالم الجديد قد أدت إلى تنافس استعماري في أمريكا الشمالية مع الانجليز من أجل السيطرة والسيادة في العالم الجديد.

وحاول ماركيزدي لاروس سنة ١٥٩٨م أن يؤسس مستعمرة في جزيرة سابل، وتم انقاذ الإحياء منهم بعد انقضاء خمس سنوات، وبعد أن منح "بنتجرافيه" و"شوقان"، و "دي مونت" في عام ١٦٠٠م حق احتكار تجارة الفراء، قاموا بمحاولة فاشلة أخرى للاستعمار وكان هدفهم في هذه المرة "تادوساك" عند "سانت لورانس السفلي"، وارتاد "بونتجرافيه"

بصحبة "صمويل دي شمبلين" علاوة على ذلك الساحل الأكيدي، وفي السنوات الثلاث التالية، نظم "دي مونت" و "شمبلين" مكاناً للاستيطان في مدينة "سانت كروا"، ولكنهما انتقلا بعد فترة إلى "بورت رويال"، ثم تابع "شمبلين" رحلته على ساحل "نيو انجلاند" حتى "رأس كود" وعاد إلى فرنسا عام ١٦٠٧م.

وأسس "شمبلين" باعتباره وكيلاً لدي "مونت" "مستعمرة كوبيك" عام ١٦٠٨م وفي السنة التالية اصطحب معه جماعة من "هنود الجونكون والهيرون" وسار في مجري "نهر رشيليو" حتى وصل إلى البحيرة التي تحمل اسمه الآن، وارتاد "شمبلين" نهر أتاوا إلى ما يقرب من مائة ميل شمالى مدينة اتأوا الحالية وفي عام ١٦١٥م واستمر في إبحاره حتى وصل إلى بحيرة نيسنج ومن ثم إلى خليج جورجيا، وكان أول رجل أبيض اخترق تجارة الفراء، وفي عام ١٦١٥م وصل أربعة من رهبان "ريكوليه إلى كوبيك" وهكذا افتتحوا بداية النشاط التبشيري الفرنسي، وفي عام ١٦٢٥م وصل خمسة من الجزويت وبدءوا نشاط هذه الطائفة.

نتائج الكشوف الجغرافية

١- كان البحر المتوسط طريق التجارة في العصور الوسطي ومركز النشاط االسياسي، وبعد هذه الكشوف انتقل ذلك المركز إلى المحيط الأطلنطي الذي أصبح طريق التجارة العالمية في العصر الحديث وانتقل مستقبل أوربا التجاري من مدن البحر المتوسط كالبندقية وجنوة إلى مدن الغرب والشمال إلى البرتغال واسبانيا، ثم إلى هولندا وانجلترا التي كانت تقع على الطرق الغربي للدنيا القديمة، وأصبحت في قلب الدنيا بعد الكشوف الجديدة عرفت هذه الحركة الاقتصادية في التاريخ باسم "الثورة التجارية" "The Commercial Revolution"

٢- تكونت إمبراطورية إسبانية وأخرى برتغالية وفتح باب الاستعمار أمام الدول الأخرى التي لم يلبث أن دخلت الميدان لتأخذ بنصيب من الأملاك الجديدة ودعا هذا التنافس في البحار حتى أصبحت الأساطيل البحرية من الأحوال عوامل التغلب والانتصار، كذلك سادت بين الدول نظرية استغلال المستعمرات لصالح مما أدى

إلى تذمر السكان وثورتهم في النهاية طلباً لدفع نير الاستعمار الذي كان فاتحة لسيل من الهجرة من أوربا إلى ذلك الإصقاع.

٣- عمل الإسبان والبرتغاليون على نشر الدين المسحي والمذهب الكاثوليكي بين أهالي المسكيك وأمريكا الجنوبية، حيث وجدوا في ذلك أكبر تعويض للكنيسة الكاثوليكية عن نفوذها الذي ضاع في كثير من جهات أوربا، على أثر انتشار البروتستانتية في كثير من جهاتها بعد ظهور حركة الإصلاح الديني.

٤- ازدهرت كمية المعادن الثمينة ولاسيما الذهب والفضة واتخذت طريقها إلى أوربا فحل النقد محل المبادلة في البيع والشراء وانخفضت قيمة العملة وارتفعت الأجور وأثمان السلع وتحسنت الحالة الاقتصادية في أوربا نتيجة لازدياد النشاط التجاري وإنشاء الصناعات الجديدة وزيادة رؤوس الأموال.

٥- أخذت المحصولات الجديدة ترد إلى أوربا كالذرة والبطاطس والكاكاو والكينا والتبغ، وأصبحت عاملاً مهما يلعب دوره في الحياة الاقتصادية، كما اضحت من الضروريات بعد أن كانت من الكماليات.

٦- زادت أهمية علم الجغرافية، واتسع ميدان البحوث الجغرافية وتغيرت أفكار أهالي أوربا عن الأرض وحجمها وشكلها، ومن فيها وما فيها، كما لفتت هذه الكشوف الأنظار إلى ضرورة تحسين بناء سفن، ووسائل إرشاد الملاحين حتى يقبلوا على الأسفار والتجوال في البحار، وهكذا أقبل الناس على البحث العلمي والتفكير الحر دون الاعتماد على الآراء القديمة التي كانت سائدة أو التقيد بأفكار العصور الوسطي.

٧- كذلك اتسع ميدان علم التاريخ، فبعد أن كان مقصوراً في العصور الوسطي على عالم ضيق الأرجاء وهو المعروف في ذلك الوقت أصبح المجال أمامه واسعاً باتساع رقعة الراضي المعروفة على سطح لكرة الأرضية نتيجة للكشوف الجغرافية.

٨- قاسي سكان البلاد الأَصليين كثيراً من المستعمرين فكان هذا الاتصال كارثة عظمي عليهم وخاصة في أمريكا الشمالية، حيث كان يعيش الهنود الحمر، حيث قضت

على الكثير منهم الحروب، والأوبئة ومن بقي منهم عاش في معزل عن المستعمرين، وأخذ عددهم في التضاؤل حتى لم يبق منهم الآن إلا عدد قليل في غرب الولايات المتحدة وكندا غير أن الحالة كانت أخف وطأة في أمريكا الجنوبية، إذ بعد هدوء الزوبعة الأولي زوبعة الفتح والتملك، وأخذ السكان الأصليون يختلطون بالإسبان والبرتغال وتعلموا لغتهم واعتنقوا دينهم، ومن خلال الإمتزاج نشأ الجيل الحاضر بعكس ما حدث في أمريكا الشمالية.

٩- كما ترتب على حركة الكشوف الجغرفية أن تحولت الثروة من طبقة ملاك الأرض إلى طبقة جديدة وهي طبقة التجار، وسيكون لانتعاش الطبقة البرجوازية التجارية دور مهم فيتطور نظم الحكم في العصر الحديث، وسياسياً قد نتج عن حركة الكشوف نشأة الاستعمار وازدياد تنافس الدول الأوربية على السيطرة في العالم الجديد وآسيا وأفريقيا.

الفصل الرابع

حركة الإصلاح الديني

ظلت الكنيسة صاحبة الكلمة العليا في أوربا طوال العصور الوسطي فكان لها المنزلة الأولي في جميع شئون الحياة، ففي عالم السياسة كان رجالها يشغلون أرقى والأحوال المناصب في الحكومات المختلفة، وكانت بأيديهم شئون التعليم، ومنهم المؤلفون والكتاب، ناهيك عما كان للبابا من السيطرة على السطلة السياسية، وما كان يدعيه من حق السيادة على الأباطرة والملوك، وقد بلغت البابوية منتهي قوتها في عهد "جريجوري السابع و"أنسنت الثالث" حتى قال الأخير أنه لا خلاص للإنسان في العالم ما لم يخضع للبابا، فأنا قيصر وأنا الإمبراطور الحقيقي، صاحب السيادة على جميع أمراء الأرض، وفضلاً عن هذا فقد طالبت البابوية بالخضوع المباشر للحكام الزمنيين الذين حددوا أهدافها، فلم تتردد جملة مرات من تجريد الإمبراطور المشاكس فردريك الثاني من نفوذه وحرمانه من رعاية الكنيسة، وطالب البابوات بسلطات تشريعية وقضائية أوسع لتطبيقها على المسيحين، وأيضاً على الكفار، وأصدر البابا جريجوري التاسع أول تشريع رسمي للقانون البابوي للتأكد من تيسر إدارة ممتلكاته. وفي بداية القرن الرابع عشر ظهر ضعف البابوية وحركة الانقسام الكبري في الكنيسة الغربية، مع انتخاب بابا في روما أو في سويسرا أو إسبانيا أو غيرها، وكذلك قيام حركة المجالس الدينية للإصلاح من شأن الكنيسة البابوية والعودة بها إلى مجدها القديم، واتجهت أذهان الناس نحو الانشقاق على البابوية، أدى إلى قيام ثورة لوثر في ألمانيا، وثورة كلفن في سويسرا.

كانت الكنيسة تهتم بظواهر الدين دون لبه، فكان الناس يعتنون باقتناء مخلفات القديسين والرسل والحج إلى مدافن القديسين، وتعذيب أجسادهم وبتلاوة الأدعية اللاتينية المغلوطة التي لايفقهون لها معني، ويحرصون على طاعة عمياء، بينما كان أثر هؤلاء يعيشون عيشة البذخ والترف والفساد، فكان البابوات يتحايلون على اصطياد الأموال بكل الوسائل فأصبحت الوظائف الدينية تباع بالمال دون النظر إلى مؤهلات الشخص المشتري لها وتهافت رجال الدين على الحياة الدنيا، وجمع الثروة لهم بوسائل مختلفة فضلاً عن

استحواذهم على المناصب الهامة في الدولة وكان البابا وحاشيته يتنعمون في روما تنعماً اَثار الشكوك في أحقبة خلافاتهم لرسل المسيحية الأول، فلما جاءت النهضة تشجعت الناس على حرية النقد ومضي العهد الذي كان فيه القسيس مطاعاً من غير مناقشة.

ناهيك عما سبق؛ أنظر إلى "ليو العاشر" وبلاطه، فقد كان ليو العاشر من عائلة إيطالية عريقة، وصل لمنصب البابا عن طريقها في سن الثامنة والثلاثين، وقد تربي في ثراء فاحش، ولم يستطع تغيير نمط حياته بعد أن أصبح رئيساً للكنيسة، فكانت هوايته المحببة "الصيد" وهو محرم على رجال الكنيسة، كما يمتلك ضيعة خاصة وقصراً منيفاً وعدة حيوانات متوحشة بينها فيل أبيض، كمت كانت حاشيته الشخصية تضم ٦٨٣ شخصاً، وكانت لديه فرقة موسيقية خاصة ومسرح خاص، باختصار كانت عيشته أقرب لعيشة الملك منها إلى عيشة البابا أن لم تتفوق عليها، وللإبقاء على هذا المستوي من المعيشة اقترض البابا ليو من البنوك بفائدة تصل إلى ٤٠% فقد كان ريع خاص بيوت الدعارة وغيرها لايكفي إنفاقه الضخم، لذا اخترع مناصب جديدة للبيع ليتسني له سداد جزء من مصروفاته.

لم يكن مارتن لوثر الوحيد الذي وجه نقداً للكنيسة، ففي القرن الثالث شبه الكاردينال "بونا فينتورا" مدينة روما بالعاهرة، وقال أنها كالعاهرة تسكر الملوك والشعوب بخمرها، وأضاف أن روما تفسد الرؤوس الكبري للكنيسة، وهؤلاء يفسدون صغار الكنيسة، وهؤلاء بدورهم يفسدون الشعب، ولا يجب أن ننسي دانتي الذي جعل في كل درجة من درجات جهنم فئة من رجال الكنيسة ومساؤتهم، وسأل "البابا هادريان الرابع جون" من سالزوبوري عما يقوله الناس عن حقيقة الكنيسة ومساوئهم، فأجابه هذا بصراحة: "أنهم يقولون أنها أقرب لزوجة الأب منها للأم وأن البابا لا يطاق".

وكان رأي ألفاروبيلايو– وكان مستشاراً لبابا أفينيون – أن الكنيسة أعطت القدوة السيئة للناس، وأن الناس عندما رأوها بهذا القدر من الفساد كان رأيهم: ولم لأنكون نحن كذلك أيضاً"، كما قرر ميكافللي قاعدة أنه " كلما كان الشعب أكثر قرباً من الكنيسة الرومانية قل دينه وتدينه"، وكتبت الأميرة كاتارينا للبابا جريجوري الحادي عشر "أنني لا أجهد نفسي في البحث عن مقر البلاط البابوي فرائحته النتنة تصلني أينما كنت".

وكان بروما أكبر عدد من الأبناء غير الشرعيين، وبلغ خطر رجال الكنيسة أن النساء كن يأخذون خناجر معهن حين يذهبن للاعتراف، وكتب إيراسموس في القرن السادس عشر حديثاً خيالياً من "البابا بوليوس" الذي يحاول عبور بوابة الجنة من خلال "القديس بطرس" الذي لا يتعرف عليه كخليفته بسبب خوذة الحرب التي يرتديها فيبدلها يوليوس بتاج البابوية الذي لا يتعرف عليه بطرس أيضاً، وأخيراً يظهر له بوليوس مفاتيحه دلالة أن له مكاناً بالجنة، وبعد أن يفحصها، بطرس يهز رأسه أسفاً قائلاً أنها لا تفتح أياً من أبواب الجنة. والغريب في ذلك الوقت أن لوثر أثر عدم ترك الكنيسة حتى اهتدي إلى فكرة أن مسيحية منقسمة هي بلا شك أفضل من مسيحية يرأسها بابا يعمل ضد تعاليمها، وأن يسترشد بالإنجيل رأساً أفضل من أن يقوده بابا فاسد الذمة، وحتى اليوم يختلف المسيحيون حول جدوي الخطوة التي اتخذها لوثر، وبذلك كان حكم لوثر ودانتي واحداً: "أن مشكلة الكنيسة تكمن في حب باباواتها للسلطلة.

ظهرت هذه الروح على أثر حركة إحياء العلوم، وتناولت كل الأنظمة التي اعتادها الإنسان، وفي مقدمتها الأنظمة الدينية، فسلط المفكرون على نظام الكنيسة نور العقل والمنطق والحكمة، فزاغ الناس في الجنوب ونبذوا الدين ظاهرياً، أما في الشمال فإن الناس لم يكونوا أهل عواطف وشعور، بل هم على الأكثر أهل رزانة وتعقل وتدين، فانكبوا على كتب الفلسفة، وعلى دراسة كتب الديانة الأولي، بلغتها الأصلية العبرية واليونانية واللاتينية، ولما لم يكن لأهل الشمال مدينة قديمة كأهل الجنوب، ولما كان كل ما أخذوه من المدينة جاء عن طريق الكنيسة دفعتهم النهضة إلى الإهتمام بمصدر مدينتهم وهو الكنيسة، فنقبوا عن الأصول الدينية وكتب القديسين الأوائل، وترجموا الإنجيل من اللاتينية إلى الألمانية، ولما وقفوا على حقائق دينهم، وقرنوا ذلك بما وصلت إليه الكنيسة من الانحطاط، ثارت حميمتهم يبغون إصلاحها وظهرت رغبة في خلق نوع آخر من المسيحية أبسط وأكثر روحانية، وقد ساهم نمو الشعور القومي في هذه الفترة في دفع الصراع ضد الكنيسة كمؤسسة عالمية إلى الأمام، وهذا يعني أن حركة الإصلاح الديني قد تزامنت مع مد القومية الصاعدة، عموماً أن الحواجز القديمة قد انهارت وعمت أوربا روح من التنوير والفكر التقدمي الذي كان متوهجاً تحت رماد المعرفة التقليدية. وكانت الكنيسة تطلب إلى

اتباع تعاليمها دون مناقشة، الأمر الذي أمات فيهم روح البحث والإبتكار، وأعمي إنسان العصور الوسطي من رؤية جمال العالم، فقد كان الجمال في نظره رجساً من عمل الشيطان، ولكن فقد صاحب نمو البرجوازية عملية إحياء العلوم العظيمة من فلك وميكانيكيا وطبيعة وتشرح وغير ذلك من العلوم التي كانت في العصر الإقطاعي الخادم المطيع للكنيسة، لذا خرجت البرجوازية للنضال ضد دعاوى الكنيسة وضد الإقطاع.

أوجدت روح النقد جماعة لا ترضي عن الحال التي وصلت إليها الكنيسة، وأدرات الرجوع إلى الحياة المسيحية الخالصة، مسيحية القرون الأولي، أي العودة إلى حياة البساطة عندما كانت الكنيسة تعل بالدين والعقيدة، دون أن تدنسها الأطماع الدنيوية واعتماد الكتاب المقدس وحده كمصدر أساسي للعقيدة بعد أن رأت هذه الجماعة ما وصل إليه الكنيسة من تردي.

ما ساعد على نجاح حركة الإصلاح الديني، رغبته الأمراء في التخلص من تدخل الكنيسة والبابا، فقد كان لهما الحق في تعيين الرؤساء الدينيين، والتدخل مباشرة في الأحوال الشخصية، وجباية الأعشار من الممالك المختلفة وكانت أراضي الكنيسة في جميع أنحاء أوربا معفاة من دفع الضرائب، وكانت إيرادتها ترسل إلى البابوية طرفاً فيها، إلى هذا الجانب أو ذاك، على الملوك والأمراء خاصة من دخلت البابوية في محالفات سياسية ضدهم إلى محاولة السيطرة على هذه الأراضي والسيطرة على إيراداتها، خاصة وأن اتساع هذه الممتلكات العقارية التابعة للبابوية وجودتها وثرائها، كان يسيل لعاب الملوك والأمراء الأوربيين، وكانت حياة البابوات قد تحولت إلى حياة أمراء، وأصبح للبعض منهم أبناء غير شرعيين، وأصبح لآخرين محظيات، وبشكل يضيف من هيبة الكرسي البابوي.

أما السبب المباشر الذي ستعد حركة الإصلاح الديني فيرجع إلى بيع الكنيسة صكوك، والغفران كما عرفه "توماس أكويناس"–وهو من كبار مفكري الكنيسة في العصور الوسطي–، يقوم أساساً على قواعد ثلاث وهى: الندم والإعتراف والتفكير وهو الذي يكون بالصلاة والصوم والزكاة معني ذلك أن الغفران لا يتم إلا إذا مر بالمراحل الثلاثة السابقة، وكان الغفران عبارة عن صك من الورق، يبذل فيه الوعد للمذنب – لقاء قدر من المال– بانقاص المدة التي سوف يمكثها في "المطهر"، وكانت العقيدة قد أصابها الكثير من

الجمود ولم يحاول البابوات تنقيتها من الشوائب، ورفع المستوي الفكري والديني لرجل الكنيسة، واحتاج البابوات إلى مزيد من الثروات، للمحافظة على بلاطهم وفخامته، وكذلك لبناء الكنائس الجديدة، ومنها كنيسة القديس بولس في روما، فأخذوا في اصدار صكوك الغفران، وكان توزيع هذه الصكوك عن طريق المصارف في جميع أنحاء أوربا أمراً مثيراً للنقد، كما كان توزيعها على الأهالي باسم غفران كل الذنوب، وحتى أكبر الكبائر يثير النفوس المؤمنة، ويحتم ضرورة الإصلاح.

ناهيك عن ذلك فإن البابوات صاروا يستعيضون عن التكفير (وهو الصلاة والصوم والزكاة) بعمل آخر، كالإشتراك في الحروب الصليبية، أو الحج إلى روما عند أول كل مائة سنة جديدة، فيمنح البابا الغفران الكامل للمحارب أو الحاج إلى روما، دون حاجة إلى استيفاء الركنين الأولين للغفران، وهما الندم والإعتراف، ثم صار الغفران يمنح إلى كل فرد يجهز محارباً من الصليبيين، ثم أخذت صكوك الغفران تصدر لأغراض أخرى متنوعة، كإنشاء الطرق وإقامة الجسور.

كانت ألمانيا من أكثر البلاد معاناة من مساوئ الكنيسة، فعلى سبيل المثال كانت أملاك الكنيسة كبيرة في جميع البلاد المسيحية، لكن في ألمانيا وصلت أملاك الكنيسة إلى نصف الممتلكات الألمانية جميعاً، وكانت الشرارة البادئة لمشاكل ألمانيا هي رغبة الأمير ألبرت في الاحتفاظ بكنيستي ماجدة بورج وهالبرج اشتاد– اللتين كان يرأسهما بالفعل – بجانب أطماعه الجديدة في كنيسة ماينس(وكانت كنيسة ألمانية رئيسية) وهو ما كان يخالف قوانين الكنيسة، وكان ألبرت على استعداد بدفع ثمن هذا المنصب، وكان "البابا ليو" في حاجة للمال لتجديد كنيسة القديس بطرس، ولأن ألبرت لم يكن يملك السيولة الكافية لدفع المقابل نقداً فإن "البابا ليو" سمح له بقرض كبير بسعر فائدة عال فوق العادة، وكانت المشكلة هي كيف يرد الأمير ألبرت هذا الدين؟، لقد سمح "البابا ليون" للأمير ببيع صكوك الغفران لمدة ثماني سنوات، بحيث يعود نصف عائدها للبنوك والنصف الآخر للبابا لأصلاح كنيسة القديس بطرس، وتم تعيين القس تتسل في مهمة التسويق لتلك الصكوك، وكان ممكنًا لتتسل أن يستمر في هذه المهمة لولا ظهور مارتن لوثر الذي

لم يعجبه هذه الأحوال. ظهور بعض المصلحين الدينيين؛ أمثال: مارتن لوثر، زونجل،كلفن.

☒مارتن لوثر "Martn Luther":

ولد مارتن لوثر في عام ١٤٨٣م بإحدى قرى إمارة سكسونيا التابعة لألمانيا من أبوين فقيرين، ولكنه أتم تعليمه الجامعي، ثم دخل ديراً تابعاً لطائفة القديس أوغسطين سنة ١٥٠٥م، وأتيحت له في سنة ١٥١١م فرصة زيارة روما، ولكنه صدم لما رآه فيها من حياة التبذل وانهيار القيم الأخلاقية، وابتعاد حياة رجال الدين عن تعاليم المسيحية وشغل يعد عودته لبلاده منصب أستاذ اللاهوت في جامعة وتنبرج سنة ١٥١٢م، ونجح في التدريس والوعظ. صُدِم مارتن لوثر حين جاء أحد الرهبان إلى المدينة فى عام ١٥١٧م ليبيع صكوك الغفران وكان جاهلاً، وأدعي أنها كافية لتخليص من يشتريها من كل ما ارتكب من آثام وخطايا، وحتى أكبر الكبائر، ولما كان الغفران لا يتم إلا بناء على توبة واعتراف وتكفير، بالإشتراك في الحروب الصليبية وفي الحج إلى روما وزيارة قبور القديسين، ثم نسي بعض رجال الكنيسة التوبة والإعتراف، وأصبح التكفير يعني شراء صكوك الغفران وكان الغفران منحة إلهية، ونسي البابوات ذلك وأصبحوا يضمنونه لمن يشتري الصكوك، فثارت نفس مارتن لوثر، وانتهز فرصة اجتماع أهالي "وتنبرج" بمناسبة عيد الشهداء، وبمناسبة تدشين "كنيسة الأمير ألبرت" وعلق على بابها احتجاجاً على بيع صكوك الغفران يشتمل على خمسة وتسعين فقرة، هاجم فيها الكنيسة الكاثوليكية، ونظرتها إلى الغفران، وهاجم فيه سلطان الكنيسة وتعاليمها، واصر على ضرورة اتخاذ الكتاب المقدس وحده دستور لتفسير أي موضوع يختلف عليه في العقيدة[٢٣]، أي أن لوثر هاجم الغفران بقواعده الثلاثة التي أشرنا إليها، ثم أخذ يبسط عقيدته في التبرير بالإيمان، وهي أن الغفران مربوط فقط برحمة الله.

ولم يمض أسبوعان على هذا الحادث حتى كانت قد ذاعت أنباء هذه الحجج وترجمت من اللاتينية إلى الألمانية، ولم يمض شهران حتى كانت أوربا بأسرها تناقش هذه الحجج التي وضعها الراهب السكسوني، على أن لوثر مضي خطوة أخرى، ففي مناقشة مع "يوحنا تتزل" ومع غيره من علماء اللاهوت واقدرهم" يوحنا ايك أستاذ اللاهوت بجامعة

"أنجولشتات فقد لوثر نظام الكنيسة وسلطتها العليا، بل وتعاليمها كما وجه في سنة ١٥١٩م الدعوة إلى الأمراء وإلى الفرسان في ألمانيا لتزعم الإصلاح على الأسس الآتية:-

١-خضوع رجال الدين للسلطة المدنية.

٢-ليس من حق البابا وحده أن يحتكر تفسير الكتاب المقدس.

٣-ضرورة انقاص عدد الأديرة.

٤-عدم الحج إلى روما.

٥-ضرورة زواج القسس.

٦-الطلاق أمر شرعي (أباحة الطلاق بين المسيحين)

أدت هذه المناظرة إلى إعلان لوثر أن صكوك الغفران والبابوية كلها بدع مستحدثة، ولم تكن معروفة أيام الرسل الأولين، فلما علم البابا بذلك، لم يسعه إلا اصدار قرار البابا علناً، فطلب البابا إلى الإمبراطور شارل الخامس تنفيذ قرار الحرمان ضد لوثر، فدعاه شارل إلى الحضور أمام المجمع الألماني، وطلب إليه أن يرجع عن زيغه، فأبي إلا أن يقتنعوه بحجج من الكتاب المقدس، فحكم عليه بالطرد خارج القانون، واهدار دمه، وحرمت قراءة كتاباته، فحكم عليه بالطرد خارج القانون واهدار دمه، وحرمت قراءة كتاباته، ولكن سلطة المجمع كانت ضيقة، وكان كل أمير حراً في تنفيذ قرارات المجمع وإهمالها، ومن أجل هذا كان المهم رأي سكسونيا، الذي يعد لوثر من رعاياه.

بينما كان لوثر مهدداً بالقبض عليه في أية لحظة، حمله أصحابه إلى أحد حصون سكسونيا، في حماية أميرها، وفي مختبأ به عامين، وترجم في اثنائها الإنجيل من الإغريقية إلى اللغة الألمانية، فكان ذلك أول كتاب قيم طبع بهذه اللغة، ففتح لها عهدا من جيداً، ومن ذلك الوقت سهل على الشعب أن يطلع على الكتابات الدينية بنفسه، وكثر أنصار لوثر فأن كل طبقة كانت تري مصلحتها في الإنضمام إليه، فكان الفلاحون يريدون التخلص من بقية قيود الإقطاع، والفرسان يريدون توسيع نفوذهم، والأمراء يرغبون في الاستيلاء على أملاك الكنيسة، ومهاجمة الأراضي التابعة لها سنة ١٥٢٣م، واستولوا

على أراضيها وقسموا بعضها على صغار الفلاحين وأخيراً فإن "جامعة وتنبرج" منحت مارتن لوثر منبراً يشرح فيه فكرة عقيدته، وبشكل ساعد على انتشار هذا الإتجاه الجديد.

لقد عُرِفَ أنصار المذهب الجديد بـ "البروتستانت" أي المحتجين أو المعترضين، فانقسمت أوربا إلى معسكرين أحدهما يذود عن الكاثوليكية، والآخر يدعو إلى البروتستانتية التي سرت في جميع أجزاء أوربا الشمالية سريان النار في الهشيم، فعفا المذهب القديم منها، واعتنق الكثير من البروتستانتية وبدأ عهد الصراع والحروب اللاتينية في أوربا وواصلت مؤلفات مارتن لوثر الناضجة في نظريات الكنيسة التشديد على اعتماد الكنيسة على كلمات الأسفار المقدسة، والقول بأن تعريف الكنيسة مستمد من هذا المفهوم والمعني؛ أي أن موضع الكنيسة الحقة لا ينبغي تحديده على أي نحو في مدينة بالذات، لأن الكنيسة الحقة بمقدورها أن توجد حيثما تتردد كلمة الكتاب المقدس بصدق وتتغذي بها الكنيسة.

ولقد ارتبط بحركة مارتن لوثر ثلاث حركات أخرى، مرتبطة بالفكر والعقيدة وبالسلطة وبالمصلحة، حتى المادية، وكانت كالآتي:-

١- حركة الآناباتبين" ظهر هذه الحركة في "ترفيكاوسكسونيا" سنة ١٥٢١م على يد جماعة متطرفة من أنصار مارتن لوثر، على رأسهم "توماس مونزر" رأت أن تعميد الأطفال (تغطسيهم ثلاث مرات في الماء على اسم الثالوث المقدس: الأب والابن والروح القدس) من أجل صلاحهم، لا يتفق مع تعاليم الإنجيل، حيث يجب أن تتوافر في المعمودية أركان الحياة الدينية الصحيحة من توبة وندم وإيمان، وهو ما لا يتوافر في الأطفال، ومن ثم فإن سر المعمودية لا يسمح إلا للبالغين الراشدين الذين اعتنقوا المسيحية فقط، على أنه عندما تطرف هؤلاء في دعوتهم، وقعت إضطرابات وإعتداءت جعلت لوثر يشعر بأن دعوة الإصلاح الديني في خطر، فخرج من مخبئه ليدعو المتطرفين لإلتزام الهدوء والحكمة.

٢- حركة الفرسان "كان الفرسان قد فقدوا الكثير من امتيازاتهم، فوجدوا في حركة لوثر فرصة لاسترداد نفوذهم وتوسيع ممتلكاتهم، فهاجموا الكنائس وحطموا ما فيها من تماثيل، واستولوا على أملاكها وارضيها ولكن الأمراء قاموا بضربهم، والقضاء على حركتهم، حتى يبقوا هذه الممتلكات في أيدي الكنيسة إن كان الأمراء من الكاثوليك، أو

للإستيلاء هم بأنفسه مولأنفسهم عليها إن كانوا من أنصار لوثر، وأدى ذلك إلى ضعف الفرسان وتزايد قوة الأمراء. على أن لوثر امتنع عن تأييدهم، كما تحالف مع الأمراء ضدهم، وفي نفس الوقت لم تجتذب حركتهم تأييد الفلاحين الذين كرهوا منهم الإرهاق الذي الحقوا بهم، وعلى هذا فحين قامت هذه الحركة في سوابيا وفرانكونيا بقيادة "فرانزوفون سيكينجن" "وصديقه "اَلريك فون هتن" وأخذوا في مهاجمة رجال الكنيسة رؤساء الأساقفة لانتزاع أراضي الكنيسة، وواجهم الأمراء بالقوة المسلحة، وقبل "فون سيكنجن"، وهرب "فون هتن" إلى سويسرا سنة ١٥٢٣م حيث مات بها فقيراً.

٣- ثورة الفلاحين كانت أعنف الحركات، وانتشرت في جميع أنحاء ألمانيا، فقد قامت في التيرول وادستريا وفرانكونيا وسوابيا، وهي عبارة عن سلسلة من الثورات التي قام بها الفلاحون فيما بين سنتي ١٥٢٤م و١٥٢٥م، وكان قد سبقها ثورات أخرى قبل ظهور الحركة اللوثرية ولقد ربط الفلاحون بين الاتجاه الفكري والعقائدي لحركة لوثر، وبين ظروفهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومع حركة إعادة التعميد، فقاموا بثورات موجهة ضد السلطة للتحرر وللمعيشة في إخاء يقوم على أساس المساواة، وكان الفلاحون يعيشون في ضنك، فأصدر الفلاحون بياناً يحافظون على امتيازاتهم ويستغل الفلاحين، ثم أصدروا بياناً آخرافى عام ١٥٢٥م لإلغاء رقيق الأرض، وتحديد إيجار الأراضي، وتحديد الأعباء التي يؤدونها للسيد الإقطاعي، وحق كل جماعة في اختيار وتعيين القسس في الكنائس، والإشراف على التعليم، وقصر ضريبة العشور على الحبوب فقط، وتقرير حق صيد الأسماك في الأنهار والقنوات التي يعملون في فلاحتها، وحق صيد الحيوانات في الغابات، كمت طلب الفلاحون بأن تنظر مطالبهم في ضوء الكتاب المقدس، مطالبين بإبراز الدليل من الإنجيل على أنهم أرقاء ، وقالوا "لن نكون بعد اليوم عبيدا؛ لأن المسيح جعلنا احراراً".

ولم تلبث هذه الحركة أن اتخذت طابعاً شيوعياً على يد "توماس مونزر" حاكم "تزفياكو" وزعيم الآنابابتيين والذي نصب نفسه زعيماً للفلاحين منذ أقام في مدينة مولهاوسن بألمانيا مجتمعا شيوعياً يقوم على إلغاء الملكية الفردية، والمساواة المطلقة بين الأفراد وشيوعة الملك، ودعا إلى إقامة مجتمع مسيحي جديد على أساس المساواة

المطلقة وشيوعية الملكية، وهو ما يقتضي التخلص من الأمراء ورجال الدين على بكرة أبيهم.وهكذا لم يعد لوثر في نظر الألمان مصلحاً دينياً فقط، بل زعيماً قومياً أيضاً.

☒ أولريخ زونجل "Ulich Zwingli"

هو سويسري الأصل قاد أول دعوة للإصلاح الديني خارج ألمانيا في مدن سويسرا، وبدأها في زيورخ ١٥١٨م، دون أن يتأثر بتعاليم لوثر في ذلك الوقت؛ فقد هاجم صكوك الغفران، كما هاجم استخدام البابا لرجال سويسرا في حروبه، ودعا إلى زواج القسس، والاعتماد على الإنجيل دون تعاليم الكنيسة، وخالف لوثر في تفسير العقائد، وفيما يجب أن يكون عليه نظام الحكم في الكنيسة، وذهب إلى أن القربان حفلة تذكارية لا غير، ورأي أن يعهد بإدارة الكنيسة إلى يد السطات التي تتولي شئون الدولة، كما فعل لوثر، ولكنه رأي أن هذه السلطات هي السلطات الجمهورية الثورية، ولذا فإنه كان يسود الكنيسة السويسرية النظام التام رغم خضوعها للسلطة الزمنية وعرض زونجل سبعة وستين بنداً يدافع عنها وتلخص عقيدته، ولهذا فأن زونجل اعتبر الكنيسة مؤسسة ديمقراطية لكل المسيحين الذين يشتركون بواسطة هيئة معينة منهم في الفصل في كل المسائل المتعلقة بالكنيسة والتعيين في الوظائف الكنسية وغيرها، على حين اعتبر لوثر أن أمير البلاد هو دائماً الرئيس الأعلى للكنيسة، وقد قتل زونجل في الحرب التي دارت بين الكاثوليك والبروتستانت في ١١ أكتوبر١٥٣١م وقد أثر ذلك على الحركة اللوثرية، التي لم تنتشر في سويسرا، ولكن الصلح عقد بينهما في نفس السنة التي حدثت فيها المعركة والتي قتل فيها زونجل "معركة بابل" على أساس تعهد المقاطعات البروتستانتية بترك المقطعات الكاثوليكية تعيش في سلام، وحق المقاطعات البروتستانتية في الاحتفاظ بمذهبها الجديد، وأصبح من حق الولايات حرية اختيار المذهب الذي تتبعه.

☒جون كلفن "Jean Calvin":

انتقلت حركة الإصلاح الديني إلى فرنسا على يد "كلفن" الذي ولد في فرنسا ودرس القانون بها، وفي عام ١٥٣٤م خرج عن مذهب الكنيسة واتبع مذهب لوثر، واضطر إلى مغادرة فرنسا، لأن ملكها فرانسوا الأول أخذ يضطهد البروتستانت، وبعد قليل أقام في جنيف بسويسرا، ومنها أخذ اسمه وشهرته ينتشران في كل أوربا، وسُمِّي اتباعه في فرنسا

"الهيجونوت" كان نظام كنيسة كلفن يقضي بادماج السلطة الدينية في السلطة المدنية، وإشراك غير القساوسة معهم في إدارة شئون الكنيسة، وتخويل الشعب حق اختيار القائمين بها فكان هذا النظام ديمقراطياً من هذه الوجهه فأصبحت جنيف كعبة يؤمها طلاب الإصلاح والمضطهدون من الممالك المختلفة، لاسيما فرنسا واسكتلندا وإنجلترا والأراضي المنخفضة وألمانيا، فلما عاد هؤلاء إلى بلادهم عملوا على نشر مذهب كلفن، ونجحوا في ذلك على الرغم من أنصار الكاثوليكية الذين استماتوا في القضاء على المذهب الجديد، ولكنهم لم يفلحوا، وقد أدى ذلك إلى انقسام أوربا إلى قسمين "بروتستانت وكاثوليك" كانت سبباً في حدوث كثير من الاضطهادات والحروب والثورات في كثير من دول أوربا.

ولقد اتفق مذهب كلفن مع اللوثريين في ضرورة الاعتماد على الكتاب المقدس وحده، ولكنه اختلف مع اللوثريين في ضرورة إجبار الآخرين على اعتناق مذهبه، كما أن كلفن اختلف مع زونجل في مسألة اتحاد الدولة والكنيسة، ورأي أن الكنيسة محتاجة إلى إدارة خاصة بها، تختلف عن الإدارة العثمانية للدولة، ولها ميدان روحي، ولا يجوز لأحد الطرفين أن يتدخل في ميدان الآخر، وكان كلفن يفضل الحكومة الإرستقراطية، ويري ضرورة طاعنة المسيحين لها، مادامت تحافظ على تعاليم الله، وقد نجح كلفن في أن يجعل من جنيف مركزا لمذهب الإصلاح، وزاد اشعاع جنيف بإنشاء جامعتها سنة ١٥٥٩م، وأصبحت هذه المدينة مركز تعليم وتكوين الرعاة البروتستانت أو الهيجونوت، مما أثر في تاريخ الإصلاح الديني وتاريخ أوربا في العصر الحديث.

وفي إنجلترا بدأ هنري الثامن حكمه لها سنة ١٥٠٩م وكان عمره ٢٨ سنة، وتزوج "كاترين الإرجوانية" –ابنة فرديناند وإيزابيلا– وكان مسيحياً كاثوليكياً، أعطاه البابا سنة ١٥٢١م لقب حامي العقيدة، نتيجة لكتابته بحثاً رد فيه على لوثر، وكذلك ساند البابا، وكان الإنجليزي العادى لا يحي رجال الدين ويحقد على ما يتمتع به رجال الدين من امتيازات وأملاك، وكان الإنجليزي غير راضي عن كثرة الضرائب الباهظة وغير موافق على الحرب مع الأراضي المنخفضة.لما كانت "كاترين" قد أنجبت الأميرة "ماري تيوور" لهنري الثامن ولم تنجب له ولداً، ولذلك فإنه كان يرغب في التزوج من "آن بولين" منذ عام

١٥٢٧م والتي كان قد أغرم بها، وكان البابا ضعيفاً، وتسيطر عليه إسبانيا، ولما لم يستطع هنري الحصول من كنيسة روما على طلاق كاترين والزواج من آن، دعا البرلمان سنة ١٥٢٩م لمساندته في نضاله ضد الكرسي البابوي، وجعلهم يصدرون القوانين الخاصة باستقلال الكنيسة الإنجليزية عن روما، وعمل على تجريد رجال الدين من ممتلكاتهم حيث كانوا يأتمرون بأوامر الدينا، وتوزيع أراضيهم على الملاك والنبلاء، الذين أصبحوا أكثر الطبقات إستفادة من الإصلاح البروتستانتي في إنجلترا، وفي سنة ١٥٣٤م صدر قانون السيادة وهو الذي جعل الملك هو الرئيس الأعلى للكنيسة وظلت مسألة العقيدة والطقوس الدينية في حاجة إلى حل، ولكي يكن الفقه الديني للكنيسة إنجليزياً لا ألمانياً وضع سنة ١٥٣٦م أول مجموعة للطقوس الدينية لكنيسة إنجلترا.

الفصل الخامس

الإصلاح الديني الكاثوليكي

اعتمدت الكنيسة الكاثوليكية على محاكم التفتيش وذلك من أجل تعقب الخارجين على المذهب الكاثوليكي والتنكيل بهم إرهاباً لهم ولغيرهم ولإجبارهم على البقاء داخل حظيرة الكاثوليكية، وكان هذا النوع من المحاكم الدينية موجوداً منذ العصور الوسطي واستخدمتها الكنيسة ضد حركات الهرطقة، وأي فكر قد يظهر ولكنها ظهرت بشكل جديد وبسلطات واسعة حين طالبت إسبانيا إلى البابا في ١٤٧٧م إنشائها في بلادها لمحاكمة المسلمين واليهود هناك وفي ١٤٩٧م خرجت محكمة التفتيش الإسبانية من سيطرة روما المباشرة وأصبحت تحت سيطرة ملوك إسبانيا الكاثوليك وأثبتت فعاليتها في الإرهاب حتى أن كنيسة روما فكرت في إنشاء محكمة مماثلة في مدينة روما، وهكذا أصدر "البابا بول الثالث" ١٥٤٢م مرسوماً بإنشاء محكمة مقدسة للكنيسة العالمية منه ستة كرادلة ثم زيد عدد اعضائها إلى اثني عشر وأشرفت على إرسال المفتشين الكاثوليك إلى كل مكان.

وكان يتعين فهم محاكم التفتيش البابوية من وجهه النظر الوسيطة المعاصرة التي لم تعرف أي حرية للتعبير أو الفكر في المسائل التي تمس جوهر الإيمان، ومن ثم فإن أي انحراف عن الإيمان كما حدده البابا، لم يعتبر فقط ضد السلطان القائم الذي رغم تفرده باحتكار جميع المسائل المتصلة بالأسس الدينية للمجتمع، ولم تقتصر البابوية اهتمامها على التعبير عن مثل هذه المزاعم الإحتكارية في إنشاء محاكم التفتيش، بل عملت البابوية على التدخل والسيطرة على منجزات أعظم عقول فلسفية ولاهوتيه في أوربا.وبالتالي فإن ظهور محاكم التفتيش التي تعتبر الوسائل السلبية التي لجأت إليها الكنيسة الكاثوليكية في روما في تنفيذ الحركة الإصلاحية وقد استخدمت هذه المحاكم لوقف انتشار البروتستانتية خاصة في إيطاليا وإسبانيا ومارست أعمالها بقسوة وسارت تصدر الأحكام الجماعية باحراق المتهمين أحياءً إضافة إلى التعذيب والسجن ومصادرة الممتلكات، فقد انتزع فرديناند وإيزابيلا من النبلاء الإسبانين حقوقهم ومن المدن الإسبانية استقلالها، واقتصرت حقوق المجالس الشعبية "الكورينز" على تحديد أسباب الشكاوي،

ومن دون الخوض في تفاصيلها أو العمل على إزالتها، والجدير بالذكر أن إيزابيلا هي التي وأوفدت كولمبس، وأنجبت أربع بنات، هن "ماري واليزابيث وجون وكاترين" وابن واحد توفي صغيراً، وكانت لشدة تدينها ترتدي أسفل ملابسها الملكية ملابس خشنة من الصوف وتقوم بزيارة الأديرة والكنائس وأعادت بناء الكثير منها.

كانت إيزابيلا تعاقب الرهبان الخارجين على تعاليم الدين بقسوة وتجبرهم على التعبد والصلاة، والبعد عن مباهج الحياة، كما كانت تصطحب بناتها وتُلبِسهن الملابس الخشنة السوداء التي كانت تغطي أجسادهن الصغيرة من الرأس إلى أصابع أقدامهن، ولقد لقنتهن مبادئ القراءة والكتابة اللاتينية وطرق العزف والرقص على التامبورين والجيتار وغيرهما، وقد تزوجت إليزابيث من ملك البرتغال وعندما توفيت عوضاه عنها بماري وقد أدى هذا الزواج إلى تحالف البرتغال مع إسبانيا ضد المسلمين واليهود فاضطهدوا وطردوا من البرتغال على ماسبق أن اضطهدو وطردوا من إسبانيا. وقد استطاعت محاكم التفتيش أن توقف توسع البروتستانتية في إيطاليا وإسبانيا وأثارت الرعب في نفوس بروتستانت ألمانيا وشمال أوروبا مما جعلهم أشد مقاومة لعودة الكاثوليكية أما في الأراضي فثاروا عليه وظلوا يحاربونه حتى ظفروا بالاستقلال.

يعتبر "اجناتيوس ليولا" هو مؤسس جماعة اليسوعيين الذي سيكون لها دوراً كبيراً في المحافظة على الكاثوليكية وتدعيمها وجمع حوله عدد من الزملاء وقرروا جميعاً أن "يحاربوا من أجل المسيح" كان ليولا من أَصل إسباني ومن النبلاء وعاش في بلاط فرديناند وإيزابيلا ثم التحق بجيش شارك الخامس، وحارب ضد قوات فرانسوا الأول، وأصابه جرح أجبره على أن يترك حياة الجندية فاتجه إلى الدين، ودرس حياة الفرنسيين، ودرس اللاهوت حتى حصل على درجة الدكتوراه من باريس عام ١٥٣٤م وكونوا رابطة بينهم، وعزموا على السفر والمعيشة في بيت المقدس لنشر الدين المسيحي في بلاد الشرق الإسلامي[٥٩]، وأنشأوا حزباً باسم "حزب المسيح" جعل قوامه النظام والطاعة والغيرة على المبدأ والدفاع على البابوية وسلطتها، وكانت الوسائل التي اعتمد عليها تخلص في الدعوة بالكفاية والخطابة والتعليم وليست المعتقدات الدينية الكاثوليكية المقررة، وقد نجح الجزويت في عملهم نجاحاً كبيراً وساعدوا على رد تيار البروتستانتية في كثير البلاد غير

أن تجردهم من أي فكرة وطنية وانصرافهم إلى غرض ديني هو خدمة الكنيسة والبابوية وضعهم موضع الشك إزاء الحوكومات الكاثوليكية فتعصروا لنقمتها وسخطها، وانتشر اليسوعيون ودعائهم في ألمانيا والنمسا وإسبانيا وفرنسا، وفي كل مكان في أوربا وساهم اليسوعيون في خدمة الكاثوليكية وأصبحوا شبه تنظيم عسكري.

ويرجع الفضل إلى اليسوعيين في إصابة المذاهب البروتستانتيتة بكنيسة في فرنسا وألمانيا وفي هز مركز البروتستانت لفترة من الزمن في انجلترا واسكتلندا، وكذلك في استئصال البروتستانتية من إيطاليا وإسبانيا، أما بولندا فقد نجحوا نجاحاً فائقاً وعلى حساب المذهب الأرثوذكسي ودعموا هناك المذهب الكاثوليكي، حتى أصبحت بولندا إقليمياً كاثوليكياً بين ألمانيا البروتستانتية في الغرب، وروسيا الأرثوذكسية في الشرق ولم تقتصر جهودهم على أوربا فحسب، لقد عملوا على نشر الكاثوليكية فيما وراء البحار وفي العالم الجديد والشرق الأقصي.

كان مجلس ترنت مجلس كنسي اجتمع بأمر الإمبراطور لإيجاد قاعدة التفاهم والوفاق مع اللوثرين، وظل المجلس ينعقد تارة ويتأجل أخرى، حتى بلغت جلساته خمس وعشرين جلسة كان آخرها في ديسمبر ١٥٦٣م، ولقد انقسمت قراراته التي أصدرها أثناء الفترة (١٥٤٥-١٥٦٣)م إلى قسمين؛ أحدهما: متعلق بنظام الكنيسة؛ حيث تقرر استعمال اللغة اللاتينية في الصلاة، وحرم زواج القساوسة، ومنع أن يجتمع عدد من الأسقفيات في يد شخص واحد، وحدد سن من يشغل منصب الأسقف بما لا يقل عن ثلاثين سنة، كذلك حرم تداول الكتب البروتستانتية في الممالك الكاثوليكية، وفتح المدارس لتعليم رجال لدين واجباتهم وتثقيفهم ورفع مستواهم الديني والخلقي والفكري، أما القسم الثاني فهو متعلق بالعقائد؛ حيث تقرر أن تكون الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس هي الترجمة الوحيدة المعتمدة، وأن تبقي أسرار الكنيسة سبعة لا سرين كما أوردها البروتستانت، وأن المرجع في القضايا الإيمان والعقيدة ليس الكتاب المقدس وحده، وإنما لكتاب المقدس والتقاليد الكنيسة واجتهادات الكنيسة، أملاً في أن تؤدي هذه الرسائل إلى تدعيم مركز الكاثوليكية وشحذ سلاحها للصراع القائم بينها وبين المذاهب الأخرى، وبذلك حدد المجلس في قرارته موقف الكنيسة بوضوح من القضايا المطروحة.

صلح أوجزبرج انعقد المجلس الإمبراطوري في مدينة أوجزبرج لتقرير الصلح مع الأمراء البروتستانت، وهو ماعرف باسم "صلح أوجزبرج"، والذي قرر فرض مذهب ديني واحد على جميع المقاطعات الألمانية، وعدم إستخدام العنف ضد الولايات الكاثوليكية، وأن من حق كل فرد يعتنق مذهباً مخالفاً لمذهب الولاية التي يقطنها أن يهاجر إلى ولاية أخرى تدين بالمذهب الذي يعتنقه، وله الحق في أن يأخذ معه أمواله، ويحق له أن يبيبع أمتعته قبل رحيله وألا يضار في شرفه، وأحكام هذا الصلح تسري على الكاثوليك واللوثرين، كما قرر الصلح أن أملاك الكنيسة الكائنة في المقاطعات التي تحولت إلى اللوثريين قبل ١٥٥٢م تبقي كما هي، وأما أملاك الكنيسة التي أخذت منها بعد هذا التاريخ، فتعود إليها وأعطي للأساقفة حق اختيار المذهب الديني الذي يرغبون في اعتناقه.

الفصل السادس

الحياة النيابية في بريطانيا

أولاً: الدستور البريطانى

وبريطانيا أقدم دول العالم عهداً بالدستور الذى كان أساساً لنظام الحكم فيها، ومنذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادى كانت مبادئ الدستور البريطانى موضع إعجاب العالم كله، حتى أصبحت نموذجاً تحتذيه أغلب الدول النيابية الحديثة.

ومن أهم خصائص الدستور البريطانى ما يلى:

١- الدستور البريطانى أقدم دستور فى العالم، إذ يمتاز عن غيره من الدساتير العالمية بالعراقة، حيث أنه كان قائماً منذ صدور الماجناكارتا عام ١٢١٥م.

٢- عدم الفصل التام بين السلطات الثلاث (التشريعية، التنفيذية، القضائية).

٣- للدستور البريطانى ميزة تطبيق روح القانون، أكثر من غيره من دساتير العالم.

٤- لا يوجد شخص فوق القانون مهما كانت مكانته حتى الملك نفسه، وهذا لأن الملك ماكان لِيُصبح ملكاً إلاّ بفضل القانون.

٥- تحديد وتوزيع الدستور لجميع السلطات حتى سلطات الملك ذاته، وعليه فقد كانت جمبع السلطات تمارس من خلال القانون.

٦- يخالف الدستور البريطانى جميع دساتير العالم فى أنه مزيج من عادات وتقاليد سياسية نالت مع الزمن تقدير الشعب واحترامه، وأنه من نصوص تشريعية تقررت فى عهود مختلفة.

٧- لم يتم تكليف هيئة نيابية (لجنة دستورية أو جمعية تأسيسية) مهمة تحرير دستور يكون حدّاً فاصلاً بين عهدين، عهداً ماضياً من الاستبداد، وعهداً قادماً بالحرية، بل جاء الدستور البريطانى نتيجة جهود أجيال متلاحقة على مدار مئات السنين، وهو مايعنى أن بريطانيا لم تنل حريتها مرة واحدة، ولكن نالتها على فترات متتالية.

٨-الدستور البريطاني دستوراً مرناً، حيث أن قوانينه الدستورية تحتاج فى تعديلها إلى الإجراءات العادية المتبعة فى تعديل أى قانون عادى، فلم تكن هناك حاجة ماسّة إلى إحداث تعديلات جوهرية إلاّ فيما يختصّ بقوانين الانتخاب، إذ أن قوانين الانتخاب دائما ما تحتاج إلى قواعد صارمة لتحديد شروط الناخبين والمنتخبين، ولكن يجب أن يُلاحظ أنه عند تغيير أو تعديل أى قانون من قوانين الدستور البريطانى يجب أن يحصل على موافقة جميع السلطات فى ظل اتفاق شعبى على ذلك، وهو مايعنى أن الدستور البريطانى دستورًا مرناً وقابلاً للتطور فى أى وقت.

٩-الدستور البريطانى هو الدستور العرفى الوحيد فى العالم، وهذا لغلبة الأعراف الدستورية (العادات والتقاليد) على الدستور البريطانى، ولقد اعتادت الهيئات الحاكمة استعمال هذه الأعراف حتى أخذت صفة الإلزام.

١٠- الدستور البريطانى إذن دستوراً غير مكتوباً، إذ أن بريطانيا هى البلد الديمقراطى الوحيد الذى لايمكلك دستوراً مسطوراً، حتى قيل أنه لايوجد دستوراً بريطانياً على الإطلاق، وهذه المقولة ذات وجهان:

- الأول: أن الغالب على الدستور البريطانى أنه مستمد من الأعراف والعادات والتقاليد القومية والقيم البريطانية، حتى عُرِف هذا الدستور بالدستور العرفى.
- الثانى: هناك نصوص مكتوبة لقوانين عديدة، مثل الماجناكارتا ١٢١٥م، قانون الحقوق ١٦٨٩م، قوانين الانتخاب، قوانين الصحة والاقتصاد والمالية وغيرها، والتى تُعدّ مصدراً أساسيًا للدستور البريطانى.

من الملاحظ أنه خلال القرون الماضية كانت هنالك محاولات عديدة لتدوين الدستور البريطانى فى وثيقة واحدة، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وكان ذلك لأسباب عديدة منها، أنه ليس هناك سبب يدفع البريطانيون لتدوين دستورهم، فبريطانيا ليست دولة حديثة الاستقلال حتى تكتب لنفسها دستوراً يؤكد وجودها، بل أن النظام البريطانى لايريد أن يقطع صلته بالماضى، وحتى لو نجح البريطانيون مستقبلاً فى تجميع دستورهم فى وثيقة واحدة، فإن الدستور البريطانى سيظل يحتفظ بوصفه دستوراً غير

مُدَوّناً، إذ أن التدوين الذى يصف أى دستور هو ذلك التدوين الصادر من السلطة المختصة وقت إصدار القوانين.

خلاصة القول أن الدستور البريطاني بمواده المكتوبة كالجسد الضئيل الذى يطفو على قاعدة كبيرة جداً من العادات و التقاليد، أو هو كالكائن الحى الذى يكبر كلما صدر قانون جديد.

يستمدّ الدستور البريطاني حدوده وقواعده من ثلاثة مصادر: وهى السوابق القضائية، والعُرف الدستورى، والقوانين الأساسية.

ثانياً: البرلمان البريطانى

يتكون البرلمان إما من مجلس تشريعى واحد، وإما من مجلسين تشريعيين، وفى بريطانيا كان البرلمان يتكون من مجلسين إذ كانت بريطانيا أول من أخذ بنظام المجلسين والمعروف بالنظام البرلمانى الثنائى، ذلك النظام الذى كان له من المميزات مادفع العديد من دول العالم للأخذ به مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وإيطاليا ومصر الآن، وهذا النظام ما زال معمولاً به فى بريطانيا، ومن أهم هذه المميزات مايلى:

١- يمنع نظام المجلسين من استبداد السلطة التشريعية نفسها، فإذا استبد أحد المجلسين تشريعيا، أوقفه المجلس الآخر أو حد من سلطته.

٢- يقلل نظام المجلسين من حدوث صدام مابين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، فإذا حدث نزاع ما بين أحد المجلسين (ممثلا للسلطة التشريعية) وبين الحكومة (ممثلا للسلطة التنفيذية) يقوم المجلس الآخر بدور الملطف للنزاع.

٣- اتفاق البرلمان بمجلسيه فى الرأى غالبا يمثل الرأى العام ويعكس وجهة نظر الشعب.

٤- يسمح نظام المجلسين أن يكون للطبقة الأرستقراطية تمثيلاً خاصاً بها فى أحد المجلسين، يعرضون فيه طلباتهم ويحصلون به على حقوقهم وحرياتهم، وهو ما يساعد على عدم تعرضهم ووقوفهم فى وجه حريات وحقوق العامة.

ونظراً لأن العالم قد أخذ عن بريطانيا نظام البرلمان الثنائى، لذلك يفخر الانجليز بتسمية البرلمان البريطانى باسم أم البرلمانات فى العالم The Mother of "Prlaments".

من التقاليد البرلمانية البريطانية:

١- لايجوز للملك دخول البرلمان وحضور جلسات، إذ كان العرش يرسل خطاباً يوضح فيه أنه وجد من غير المناسب . بالنسبه له . أن يحضر الجلسة الإفتتاحية للمجلس الجديد، وعليه تم تكليف لجنة رسمية بالإفتتاح والإشراف على البرلمان، ولكن كانت هنالك حالات معينة يجوز للعرش أن يحضر فيها الجلسات البرلمانية منها ما يلى: القاء خطبة العرش فى إفتتاح الدورة البرلمانية، وإن أصبح ذلك من اختصاصات رئيس الوزراء أن يُلقى مثل هذه الخطب باسم الملك . ناهيك عن حل البرلمان.

٢- وجود جندى من الشرطة فى ركن من أركان مجلس العموم، حيث أنه فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى تم إعادة طلاء البرلمان من الداخل، ونظرا لعدم جفاف الطلاء ،فقام المجلس بوضع ذلك الجندى لينبه الأعضاء أثناء دخولهم وخروجهم،ومن ذلك أصبح وجود ذلك الجندى تقليد برلمانى.

٣- على الرغم من زيادة أعضاء مجلس العموم من وقت إلى آخر، إلا أن مقاعد مجلس العموم ظلت كما هى من حيث عددها منذ أن أُنشئ المجلس حتى يومنا هذا، وعلى الرغم من تقديم بعض الأعضاء للعديد من الطلبات لزيادة عدد المقاعد، إلا أن رئيس مجلس العموم رفض ذلك وبشدة، معتبراً بقاء الحال على ما هو عليه من التقاليد البرلمانية.

٤- على الرغم من انتشار المقولة التاريخية (الملك فى البرلمان) "The King in Parliament"،إلاّ أن ذلك قد تغيّر، إذ أصبحت الجلسة الإفتتاحية تبدأ بكلمة من رئيس المجلس المُنحلّ يـُخبر فيها الأعضاء أن الملك يشعر أنه من غير المناسب أن يحضر الجلسة الافتتاحية للمجلس الجديد، لذلك تم تكليف لجنة رسمية مكونة من خمس لوردات يـُعرفوا بإسم المفوّضين بافتتاح وعقد البرلمان، ثم يقوم الحاجب بقراءة

خطاب التفويض أولاً، ثم يُطلب من أعضاء مجلس العموم بناءاً على الأمر الملكى أن يختاروا من بينهم رئيسا لمجلسهم (المتحدث)، ثم يقرأ رئيس المجلس الصلوات وهو جالس ويقسم – طبقا للقانون– أن يحافظ على النظام داخل جنبات المجلس، ثم يتم تسليم شهادة بالست عشر لورداً– وهم لوردات اسكتلندا–، بعد ذلك يقّدم قائد الجيش للبرلمان قائمة بأسماء اللوردات الروحانيين وتُترَك القائمة بالأمرعلى المنضدة، وأخيراً يقسم باقي اللوردات، وعقب ذلك ينفضّ المجلس فى الساعة الرابعة والنصف، على أن يجتمع ثانية فى اليوم التالى الساعة الثانية ظهراً.

٥–قراءة الصلوات من الكتاب المقدس داخل البرلمان بمجلسيه، وكانت تستمر لمدة خمس دقائق.

٦–يُمنع على الأعضاء منعًا تامًا قراءة الصحف، أو تحرير أية خطابات، أو المرور أو التردد بين المقاعد أثناء انعقاد جلسات المجلس.

٧–تواجد أقدم ثلاثة من أعضاء المجلس يرتدون الأرواب والشعر المستعار ، وجلوس هؤلاء الأعضاء أسفل منصة الرئيس.ند خروج عضو من أعضاء المجلس عن اللهجة المألوفة وتجاوز فى كلامه مع غيره من الأعضاء، تعلو الأصوات داخل المجلس "لا تضرب تحت الحزام".

ثالثاً: النظام الحزبى فى بريطانيا

من المعروف عن النظام الحزبى فى بريطانيا أنه نظام ثنائى الأحزاب " Two–Party System"، وهذا النظام الذى يتوافر فيه شروط عديدة من أهمها:

١–جود حزبين كبيرين متعادلين فى القوة تقريباً.

٢–يجب أن يتمكن أحد هذين الحزبين من كسب الأكثرية اللازمة فى الحكم دون مساندة حزب ثالث.

٣–تناوب الحزبين على الحكم.

٤–كل حزب يمثل مجموعات مختلفة من الشعب.

الجدير بالذكر أنه منذ أن ظهرت فكرة الأحزاب بمعناها الحديث فى بريطانيا، وقد وُجِدَ حزبان كبيران، ففى القرن الثامن عشر كانت جماعة الويج وجماعة التورى، وفى القرن التاسع عشر تحول اسم هذين الجماعتين، فأصبحت جماعة التورى تُعرف بالمحافظين، بينما عُرِفت جماعة الويج بالأحرار، وفى بداية القرن العشرين كان الصراع بين المحافظين والأحرار، حتى ظهر حزب العمال والذى كان ظهوره ايذاناً بنهاية حزب الأحرار.يعتبر الحزبان البريطانيان صديقين وخصمين فى نفس الوقت، فهما صديقين متى تعاونا من أجل مصلحة البلاد، وهذا لا ينفى شدة تنافس كلٌ منهما مع الآخر من أجل الوصول للحكم، وهذ التنافس بين الحزبين أفضى إلى ما سُمَى بالأغلبية البرلمانية، والتى تعنى حصول الحزب على معظم المقاعد فى مجلس العموم ولم تكن العلاقة بين الأحزاب السياسية فى بريطانيا دائماً تسير فى طريق الصراع الحزبى والعراك السياسى، لكن كانت تشوب هذه العلاقة الكثير من المجاملة، تلك المجاملة التى ظهرت بشكل جلى فى خطبة ألقاها بلفور رئيس الوزراء البريطانى فى عام ١٩٠٢م : " أن الإعتدال فى طبع الانجليزى ، يساعده على أن يكون خصماً سياسياً دون أن يتعرض لخصمة ويصفه بكل نعت مُشرف، فالانجليز فى السياسة كالمحامين فى المحكمة، يعتقد كل منهم بصحة رأيه، ولكنهم لا ينسون أبداً واجب المجاملة فلا يكيل أحدهم الشتائم لمناظره، وإذا خرجوا من دار المحكمة خرجوا أصدقاء".

الفصل السابع

الثورة الفرنسية

كان الأشراف يستأثرون بأعلى مناصب الدولة، مدنية كانت أو عسكرية، ومع ذلك كانوا يعفون من أعباء الضرائب إلا القليل منها، كما كانت لهم حقوق وامتيازات من بقايا النظام الإقطاعي، كما كان في معظم ممالك أوربا الأخرى، ثقيل الوطأة على الأهالي، ولقد كان ثمة معضلة أخرى ذات صبغة اقتصادية حارت حكومات النظام القديم في علاجها، ذلك أن موارد طعام الشعب لم تكن ميسورة مضمونة، فمع كل ثروة فرنسا الزراعية، وترف طبقتها العليا، كانت بعض طبقات الأمة عرضة بين آن وآخر لفتك المجاعات وأهوالها.

وكانت الإدارة المالية تتميز بدرجة من الفوضي بلغت حد عدم التمكن من وصفها إلا على وجه التقريب، وأرجع المعاصرون مسئولية ذلك إلى إسراف البلاط ومكاسب رجال المال، وكان من الممكن الاقتصاد، ولكن إدارة الدين طالبت بمبلغ ٣١٨ مليون، أي مايزيد على نصف المصروفات إلى هذا الحد إلا بإعلان الإفلاس، فكانت الضرائب، وكانت هناك بعض الأقاليم تدفع أقل من غيرها، وكان البرجوازيون يدفعون أقل من الفلاحين والنبلاء ورجال الدين أقل من ذلك أيضاً.

ومن أجل الإصلاح في فرنسا اقترح "ترجو" إلغاء نقابات طرائف العمال، واطلاق تجارة الحنطة من كل قيد، ثم جاء "تيكر"خلفه في الوزارة "والذي ظفر بحب الجمهور إبان اشتراك فرنسا في حرب الإستقلال الأمريكي، بدفعه نفقات تلك الحرب بالقروض، بعده جاء "كالون" والذي قدم مشروعاً يأخذ ضريبة مالية على عقار من الأرض "ضريبة العقار"، فأثار ذلك الأرستقراطيين وطالبوا بدعوة "مجلس الطبقات" الذي لم يجتمع منذ عام ١٦١٤م. في كان الملك قد فقد كل هيبة، فكان يقضي وقته في الصيد وفي الأشغال اليدوية، وكان معروفاً بالشراهة في الأكل والشرب، عزوفاً عن الناس وعن التسلية، وكانت الإشاعات قد انتشرت عن أن "ماري انطوانيت" قد تسببت بمسألة العقد سنة ١٧٨٥م في أن يفقد سمعته، وتفادى كالون الملك وفكر في جمع مجلس من الأعيان والنبلاء، إلا أن

إثارة الإرستقراطيين في اجتماعهم ١٧٨٧م، ومهاجمة الأعيان مشروع كالون وبرغبة الملك فقد أقاله الملك في نفس العام.

كانت الأزمة الاقتصادية من الأسباب التي عجلت بالثورة، فمنذ عام ١٧٧٨م كان الإنتاج قد اعترضته مشاكل نشأت من المشكلات الزراعية، وفي عام ١٧٨٥م مرت البلاد بموسم الجفاف والقحط في أنحاء البلاد، وانخفض أنتاج الحبوب إلى أدني مستوي عرفته فرنسا، وأخذت أسعار الخبز في الإرتفاع المطرد، وكانت الدول بشكل عام؛ ومنها فرنسا تمارس سياسة تجارية، وتمارس منع الإستيراد، وتفرض الضرائب المرتفعة، على الواردات وكانت هناك قوانين الملاحة، واحتكار المستعمرات، الأمر الذي ساعد على تكدس رؤوس الأموال والاحتفاظ بها داخل البلاد، وبخاصة فيما يتعلق بمكاسب النقل، وإنشاء الورش الصناعية.

وساعد الأمراء وحاشيتهم صناعة الكماليات التي كانت لازمة للطبقات الحاكمة، ولكن المجهودات التي بذلت من أجل الإنشاءات البحرية والنسيج والصباغة، ونتيجة لطلبات القوات المسلحة، وعمليات منح الضرائب المباشرة لبعض الأفراد عن طريق الإلتزام، وبمنح الموردين عمليات القيام ببعض الخدمات العامة، وحتى تزود الجنوب بمرتباتهم، ساعدت كلها على ازدهار الخدمات العامة، وحتى تزود الجنود بمرتباتهم، ساعدت كلها علي ازدهار متزايد لرجال المال والمصارف.

اضطرت الحكومة أمام ازدياد ديونها إلى إعادة صهر القطع الذهبية سنة ١٧٧٥م، لكي تقلل من وزن القطع الجديدة، ساعدت ذلك على زيادة الإستهلاك من ناحية، وتوفر الأيدي العاملة من ناحية أخرى، وكان الميزان التجاري لفرنسا في غير صالحها، إذا أن وارداتها كانت أكثر من صادراتها، ورغم نمو بحريتها فإن وسائل النقل الداخلي فيها كانت تتميز بالتخلف، نظراً لقلة القنوات الصالحة للملاحة، وقلة طرق المواصلات، رغم إستخدام السخرة في إنشائها، وكانت الجمارك الداخلية ودفع الرسوم فيها تزيد من الإنفصال بين المقاطعات. زاد من سوء الحالة القرار الصادر في ديسمبر بإعلان بيع ما قيمته ٤٠٠ مليون جنيه من الممتلكات المنزوعة من الكنيسة. واحتفظت الكنيسة في فرنسا بثراوتها وامتيازاتها، ورجال الدين كانوا يمثلون أقلية صغيرة، وقدر عددهم في

فرنسا بما يقرب من ١٣٠ ألف شخص، موزعين مناصفة بين إقامة الشعائر وبين الجماعات الدينية، ولنفوذ رجال الدين كان النبلاء يعينون أبنائهم في الأسقفيات والأبرشيات والكنائس، وشكا صغار رجال الدين وجمهور المسيحيين من عدم صرف إيرادات الكنيسة في أوجهها، وكان رجال الدين يكونون " جماعة ولا يكونون " طبقة "، وجاءت الثورة الفرنسية لتهز أركان الكنيسة أكثر وأكثر بدعوتها للحرية المطلقة، فهي لم تقم فقط ضد نظم الحكم القديمة، وإنما ضد كل ما يحد من الحرية أو يقيدها كالتعليم الدينية، وكانت هذه بمثابة دعوة إلى الفوضوية من وجهة نظر الكنيسة ثم زاد نابليون الطين بلة، بخلعه "البابا بيوس السادس" من منصبه ونفيه إلى فالنسيا حتى وفاته هناك عام ١٧٩٩م، ثم وجه نابليون ضربته التالية حين تجاهل وجود "البابا بيوس السابع" أثناء احتفالات تتويجه في كنيسة نوتارتام، حيث قام بوضع التاج لنفسه وللامبراطورة أوجيني.

وكان البنلاء يكون طبقة لها امتيازاتها واحتفظ بالتقاليد الخاصة بهم، وكان النبل وراثياً، يحصلون عليه بالمولد، ولذلك كانوا يحاولون الأبقاء على دمائهم نقية، وقد أخذ الملك في بيع المناصب للنبلاء الرداء بطريقة وراثية أو شخصية، وظل من بين سلطات السيد جزء من ممارسة القضاء والإشراف على الأمن في القري وبعض الإحتكارات مثل الصيد وبعض الضرائب والسخرة وخدمة الأرض، واحتفظ النبلاء بمزارع خاصة بهم، وكانت الإرستقراطية تتنافس مع السلطة الملكية، ومع الطبقة البروجوازية في نفس الوقت، وكانت تشعر بضغائن عميقة تجاه السلطة الأولي التي كانت قد أخضعتها، وبشعور بالإنفصال والترفع عن الثانية التي كان نموها يهددها، وكانت تمثل أقلية صغيرة للغاية وقدر عددها في فرنسا بنحو ١١٠ ألف نبيل.

وقد أسفر الضغط الاجتماعي المتزايد عن سيل من الإتهام والقضايا، وأعمل العنف من جانب الفلاحين، فتفاقمت بذلك التوترات الاجتماعية في الريف، وكان النبلاء يعفون من ضريبة "التاي" وهي الضريبة العقارية المفروضة على الأراضي والمسكن، ومن السخرة الملكية لبناء الطرق وصيانتها، وضريبة الرؤوس وضريبة الدخل، وبذلك تعدي سخط

الفلاحين النبلاء إلى النظام نفسه، نظام العلاقة الإنتاجية الذي يسند مصالح هؤلاء النبلاء.

أما البرجوازية لم تكن جماعة ولا هيئة، ولكنها كانت تكون القطاع الأكثر ثروة والأكثر قدرة بما كان الفرنسيون يسمونه الطبقة الثالثة، وكان أولئك الذين يعتبرون أنفسهم على أنهم بورجوازيون بمعني الكلمة كانوا عدداً بسيطاً من رجال المال وعلى درجة من الثروة، وكانوا يسايرون ويحاربون أعضاء المجموعتين الآخرتين، على أساس كونهم من الأغنياء، وكان الموظفون يمثلون نسبة كبيرة من هذه الطبقة، وكانوا قد حصلوا على عقود شراء أو التزام وظائفهم، وكان بعض هؤلاء الموظفين قد حصل على ألقاب النبل، فإن البرجوازية كانت تحتك بطبقة نبلاء الرداء والإدارة، أما المجموعة الثانية من البرجوازية فكانت سلطتها أقل، رغم أن ثروتها كانت أكثر، وكانت تضم رجال المال المشرفين على الشئون الاقتصادية والموردين، ومر الكثير من بينهم إلى صفوف النبلاء، وهذه البرجوازية العليا كانت تضم بعض رجال الصناعة أو أعضاء الغرف التجارية، أما ما نسميه بالطبقة الوسطي أو صغار البرجوازية؛ فكان الأعيان يسمونه بالشعب، وبكل احتقار إذ أنها كانت تعمل بأيديها؛ مثل وكيل البريد والمقاول وبائع الكتب وصاحب بنك الرهونات وبعض الجراحين، إذا أن غالبيتهم من الفقراء.

أما الفلاحون فقد استمر نظام عبودية الأرض في المناطق الغربية من القارة، وكان يشتمل على إبقاء حقوق السادة، وفي فرنسا حرر لويس السادس عشر عبيد الأرض، فأصبح ثلث الأراضي تقريباً في أيدي الفلاحين، وأصبح صاحب الحيازة الحرة، يمارسها ويورثها ويتصرف فيها كما يرغب، ولكن بالنسبة للبورجوازيين وسكان المدن وكذلك البنلاء، ظل الفلاح في كل مكان هو الكائن الجاهل الخشن الذي كان مصيره وطبقا للتقاليد هو خدمة الطبقات الحاكمة وتمويل الخزانات الملكية وإطعام سكان المدن، وكان كل سكان القرية يتحملون سلطة السيد وإلتزاماته الشخصية، وكانت الحيازة تؤدي إيرادات حقيقية، مثل الضريبة الخاصة بالملكية والإيجار ونسبة من المحصول، وضريبة خاصة بالنقل من أرض إلى أرض أخري والخاصة بالبيع.

علاوة على ذلك كان رجال الدين يجمعون ضريبة العشور، والتي كانوا يعطونها في بعض الحالات لأحد المدنيين بطريق الإلتزام، وكانت هذه أكثر ثقلاً من حقوق السادة وأصناف الملك إلى ذلك الضرائب الخاصة به وبالدولة، وكان الريف يدفع تقريباً كل شئ، ولم يطلبوا من النبلاء إلا نسبة بسيطة من ضريبة الرؤوس وضريبة الواحد من العشرين، وكانوا يعفون البورجوازيين، واقتصر رجال الدين على تقديمهم الهبات بدون إلزام، ومع ذلك لم يكن هناك شيئاً يثير الفلاح أكثر من ضريبة الملح والمعونات التي كان يجبر على تقديمها وبإجباره على تموين الأسواق، فشعر أنه يعاملونه معاملة الدواب.

أما بالنسبة للأوضاع السياسية؛ فقد كانت الملكية منذ عهد لويس عشر قد أصبحت مطلقة ومركزية وبيروقراطية، والحقيقة أن رد الفعل الإرستقراطي كان يميز القرن الثامن عشر، مثله في ذلك مثل نمو البرجوازية، ولم تفكر في استخدام السلاح، ولكنها استخدمت وسائل برجوازية؛ مثل منافسة البلاط الملكي والاتجاه إلى الرأي العام، لعرقلة سلطة الملك والحد منها، وكان نبلاء السيف، الذين كانوا غالباً من أصل عادى رغم ادعاءاتهم، لم يبقوا في الصفوف الخفية، والتف حولهم الموظفون، أما السادة المتحالفين من الإساقفة، فإنهم سيطروا على المجالس الإقليمية، وتدريجياً تخلي خلفاء لويس الرابع عشر لهم عن الوظائف العليا في السلطة.

وأصبحت السلطة الملكية مهددة، بعد أن أصبحت ضعيفة، بأن تري رد فعل النبلاء يزداد جرأة ضدها، وكان من الممكن أن تؤيد البرجوازية طبقة النبلاء، وانتهى الأمر بنبلاء السيف، ونبلاء الرداء، والموظفين الذين كانوا يحافظون على تقاليدهم المهنية، ورجال القانون والفلاسفة الذين كانوا يستشهدون بالحق الطبيعي، ويصمون على التفكير العقلي، انتهى الأمر بهم جميعا إلى أن يحدوا بالقانون من سلطات الأمير، وأن يضمنوا حرية الفرد ضد التحكم، وكان كبار الملاك العقاريين والبورجوازيون والرأسماليون ينظرون بعطف إلى الحرية الاقتصادية.

وكان برلمان باريس قد وضع الضمانات الكافية لينعقد مجلس طبقات الأمة على النحو الذي يتفق مع مصلحة الطبقة الإقطاعية، فأضاف عن تسجيل المرسوم بدعوة مجلس طبقات الأمة هذه العبارة؛ طبقاً للنظام الذي اتبع في عام ١٦١٤م" ومعني ذلك أن

يكون لكل طبقة من الطبقات الثلاث: البنلاء ، ورجال الدين والعامة، عدد متساوٍ من الممثلين، وتصدت كل طبقة على حدة، ويكون لكل منها حق نقض قرارات الطبقتين الإقطاعية والملكية، وابتدائها بين الطبقة الإقطاعية والطبقة البرجوازية فقد بادرت الطبقة البرجوازية، إلى قبول التحدي في باريس، ومنها سرت حملتها إلى الأقاليم في شتاء (١٧٨٨– ١٧٨٩)م.

وقد قامت حملة الطبقة البرجوازية على محورين؛ الأول: مهاجمة امتيازات الطبقتين الأوليين، والمطالبة بأن تحل الكفاءة محل النسب، والثاني: مهاجمة الأساس الذي ينعقد عليه مجلس طبقات الأمة والمطالبة بالتمثيل الضعفي (أي يكون عدد نوابها مساوياً لعدد نواب الطبقتين الأخربين معا) وفرض التصويت المشترك (أي اجتماع الطبقات الثلاث معاً) والأخذ بالتصويت الفردي لا حسب الطبقة، وقد أزعجت هذه المطالب الطبقة الإقطاعية وخصوصا أمراء البيت المالك، الذين قدموا مذكرة إلى الملك يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٧٨٨م؛ أوضحوا فيها أن "الدولة في خطر" وأن هناك ثورة تستعد للقيام ضد نظام الحكم.

أما الأوضاع الفكرية؛ فقد شهد القرن الثامن عشر طائفة من الكتاب الذين زعزعوا دعائم النظام القديم، ونقصد بها دعائم الحكم المطلق أي عدم المساواة في أمور المجتمع، وعدم المساواة والتسامح في الشئون الدينية، ونظام الحماية في ميدان الاقتصاد أمثال "مونتسكيو" في كتابه "روح القوانين"، وقد جرد الملكية المطلقة بفرنسا من هيبتها السحرية، فولتير الذي شغل نفسه بالتيارات الاجتماعية، أيضاً "جان جاك روسو" كتابه الشهير "العقد الاجتماعي" أن الإنسان خلق حراً ومساوياً لغيره في الحقوق، ولضمان هذه الحرية والمساواة نظم الأفراد أنفسهم، ناهيك عن جماعة من الكتاب هم "الموسوعيون" ومعظمهم ذوو أرواح ثارة كارهة لكل جور وظلم وفي تشهيرهم بتجارة الرقيق، وبجانبها ظهرت جماعة "الاقتصاديين" أو "الفيزيوقراطيين" الذي كانوا يقومون بأبحاث جريئة في شئون إنتاج الطعام والبضائع وتوزيعها. بهذه الفلسفات التي أثرت على الحالة العقلية للشعب الفرنسي مع استمرار استبداد الحكومة الفرنسية، سواء بالنسبة للامتيازات التي

كانت للإشراف والنبلاء ورجال الدين، أو أكثر الضرائب التي كانت تفرض على كل كاهل العامة الفقيرة، أدى إلى ضرورة قيام الثورة الفرنسية.

☒الثورة وسقوط الباستيل

مما سبق يتضح أن الأزمة الاقتصادية التي اشتدت في صيف ١٧٨٨م، كانت من أسباب الثورة، وبالنظر إلى خطورة الوضع المالي والاقتصادي حاول رؤساء الحكومة الفرنسية "ترجو ونكر وكالون وبربين" إصلاح الأوضاع ولكن دون جدوي، وكان أن اقتراح كالون طرح المشكلة على الأمة الفرنسية من خلال مجلس طبقات الأمة الذي يمثل جميع فئات الشعب، وكإجراء تنفيذي تمت الموافقة على تحويل مجلس الطبقات إلى جمعية وطنية في ١٧ يونيو ١٧٨٩م، لكي تضع دستوراً جديداً لفرنسا يصون حقوق المواطنين ويضمن حرياتهم، وذلك بالرغم من معارضة الملك، وبذلك تحول المجلس من هدفه الرئيسي الذي دعي من أجله وهو معالجة الأزمة الاقتصادية والمالية، وصار جمعية تشريعية تهدف إلى وضع دستور جديد للبلاد.

☒مجلس طبقات الأمة والجمعية الوطنية

في ٨ أغسطس ١٧٨٨م؛ في جو مملوء بالمخاوف والشكوك والآمال، دعا الملك مجلس طبقات الأمة للإنعقاد في العام التالي، وارجع نكر ساحر المال إلى منصبه القديم الذي يهيمن فيه على مالية فرنسا، ولم يصدر قط إصلاح جليل من ذلك المجلس الذي أهملت دعوته للاجتماع طويلاً، والذي كان يجتمع فيه رجال الدين والإشراف وممثلوا الطبقة الثالثة "طبقة العامة" ويتداولون ويقترعون كل على حدة، ولم تضع الحكومة قبل إنعقاد ذلك المجلس خطة للإصلاح الدستوري. وفي ٥ مايو ١٧٨٩م افتتح المحل في قصر فرساي بحضور مندوبي الأشراف والكنيسة والعامة، وأعلن الملك أن الهدف من اجتماع المجلس هو معالجة الأزمة المالية فقط، ولم يشر إلى مسألة الدستور الذي كانت تطالب به الطبقات الثلاث ليجد من سلطات الملك ويوطد دعائم التمثيل القومي، فتوترت العلاقة بين الحكومة وأنصارها من ناحية وبين ممثلي الشعب من ناحية أخرى، كما حدث خلاف حول كيفية أخذ إلاصوات، وهل تعتبر كل طبقة صوتاً واحداً، أم توخذ الأصوات

بالأغلبية، حتى تضيع قيمة الأغلبية العددية التي أعطيت للعامة، وتمسك كل فريق برأيه، وهنا ظهرت الجمعية الوطنية.

☒ الجمعية الوطنية

لما احتدمت الأمة حول طريقة أخذ الأصوات، اقترح "سييس" أخذ نواب العامة في ١٦ يونيو ١٧٨٩م أن بوصفهم نواب الشعب في وضع دستور للبلاد، سواء اشترك معهم بقية المندوبين أم لا، فاتخذ الأشراف من تصرف نواب العامة ذريعة يقنعوا به الملك للإنضمام إلى صفهم، فأمر بإغلاق قاعة الإجتماعات بحجة أعدادها لجلسة قادمة، كان عدد رجال الدين ٣٠٨ والبنلاء ٨ والنواب ٦٢٢ [٣٠]، وكانت الحكمة تشير باجتماع القوات بعيداً عن باريس، وكانوا يفضلون فرساي، الملك من أجل الصيد، والملكة وحاشيتها من أجل التسلية، وارتكب البلاط أخطاء أخرى باصراره على الإتيكت الذي كان يهيمن الطبقة الثالثة، ففرضوا كسوة خاصة لممثلي كل طبقة، وقدموا في ٢ مايو إلى الملك، كل طبقة وحدها ومروا في جماعات منفصلة بمناسبة موكب "روح القديس"، وكان ممثوا الطبقة الثالثة يرتدون كساوي سوداء، وفق لهم الشعب معبراً عن ثقته بهم، أما النبلاء فكانت ملابسهم الزاهية بعد الموسيقي الملكية.

وفي أثناء الجلسات التي رأسها الملك، ادعي ممثلوا الطبقة الثالثة أن من حقهم الاحتفاظ بغطاء رؤوسهم مثل ذوي الميزات، وأشار "بايي" إلى أن الوفود التي كان يقودها إلى الملك لم يركع أمامه، وجاءت الجلسة التي أغلق فيها الملك قاعة الإجتماعات في وجه ممثلي الطبقة الثالثة دون أن يهتموا بإبلاغهم بذلك، فالتجأوا إلى ملعب التنس المجاور للقصر وأقسموا أن يظلوا متحدين حتى يتم وضع دستور، وكان هذا يمثل ثورة نواب الطبقة الثالثة على رغبة الملك، وحين استند الملك إلى قواته العسكرية، أكد النواب حصانتهم النيابية وأعلن "ميرابو" كلمته المشهورة: " لن نترك أماكننا إلا بقوة الحراب".

كان ميرابو من أنشط العاملين على إذكاء ثورة الشعب، وبث روح الخروج والثورة في نواب الطبقات وزعماء الجماهير، بل كان أول من رفع لواء العصيان، وأشد من حرض على تأليف الجمعية الوطنية التي كان قيامها فاتحة النضال الحقيقي بين الشعب والملكية، ومن الصعب أن نستشف من الموقف الذي وقفه ميرابو عندئذ حقيقة الدور الذي أثاره من

وحي الجمعيات السرية في ثنايا المعركة التي أخذ يضطرم لظاها بين دعاة الثورة والهدم وبين النظم القديمة، ومنذ ذلك اليوم انضمت أغلبية رجال الدين و٤٧ من النبلاء إلى ممثلي الطبقة الثالثة، وبدأت بذلك الثورة البرجوازية، واختاروا لجنة الوضع الدستور، وتحول المجلس الوطني إلى مجلس تأسيس وتقدم "لافايت" بمشروع لإعلان حقوق الإنسان، مقتبساً من آراء روسو وآراء المفكرين الأمريكيين، وأهم ماجاء فيه: أن الناس سواء في الحقوق والواجبات، وأن القانون هو المعبر عن إرادة الشعب، وأن لكل فرد حق حرية الفكر وحرية الدين ما دام تمتعه بذلك لا يتعارض والصالح العام.

وهنا اتخذ الملك مظهر القوة وحاول أن يفرق الطبقة الثالثة، ولكن الجنود رفضوا أن يطيعوا، وخضع الملك بشكل فجائي، وقبل المبدأ القاتل بأن الطبقات الثلاث يجب أن تتنافس كلها وتعطي صوتها بصفتها جمعية وطنية واحدة، وفي نفس الوقت نقلت إلى فرساي بتحريض ظاهر من الملكة، فرق أجنبية تعمل في خدمة الجيش الفرنسي، ويمكن الاعتماد عليها في العمل ضد الشعب، وهنا أدرك البرجوازيون أن الخطر يهددهم؛ فعقدوا اجتماعهم في اليوم نفسه في ملعب التنس، وشرعوا فور اجتماعهم يحلفون يميناً وضع صيغته "مونييه" بأنهم سوف يستمرون في الإجتماع في أي مكان تختاره الظروف، ووقعوا على تعهد أو ميثاق عرف باسم "ميثاق ملعب التنس" وكان من بين الموقعين تسعة من القساوسة، وفي اليوم التالي اجتمعوا في كنيسة "سانت لوي" حيث انضم إليهم ١٤٤ من القساوسة و٤ من كبار رجال الدين واثنان من النبلاء.

استهوت لويس سياسة القوة والبطش بعد قدوم الجند الأجانب بقيادة "بروجلي" فكان رد ديمقراطية باريس على تهديد الرجعية هذه، هو الرد التاريخي الذي مازالت تختلف به فرنسا عيداً قومياً في ١٤ يوليو من كل عام؛ حيث تم الهجوم على حصن الباستيل في ذلك اليوم من عام ١٧٨٩م، وسقوطه كخاتمه للطغيان المستتر والسجن الظالم المستبد، وكبشير لبزوغ فجر الحرية.

ما كاد سكان الأقاليم يسمعون بسقوط الباستيل حتى هاجموا قصور الأشراف التي كانت تمثل الباستيل في الأقاليم، ودمروا ما بها من سجلات تثبت حقوق الأشراف إزاء العامة حتى عمت الفوضي كل مكان، أيضاً سادت الفوضي الإدارة والجيش – وما هو

أدهي وأخطر على مستقبل فرنسا في البحار– سادت الأسطول الذي كان قد أبلي بلاءً حسناً أثناء حرب الإستقلال الأمريكية، وفي الرابع من أغسطس ١٧٩٧م وقف أحد الأشراف في الجمعية الوطنية، واقترح النزول عن امتيازات الأملاك، فنزل الأشراف عن امتيازاتهم، ونزلت الكنيسة عن زكاتها، ولكن الملك فزع من تمادى الشعب في ضغيانه، فدعا فرقة "الفلاندرز" الموالية له لتكون بمثابة حرس يدافع عن فرنسا، ورفض التصديق على قانون إجازته الجمعية الوطنية، وأشبع أنه يفكر في الفرار، وأن الحرس الملكي داس بأقدامه الشارة المثلثة الألوان، التي اختيرت كعلم جديد للأمة.

وفي تلك الأثناء اشتدت المجاعة بباريس، فحض المهيجون النساء على الإجتماع والمطالبة بالخبز، وبرجوع الملك إلى باريس اعتقاداً منهم بأن ذلك سوف يكثر القوات بالمدينة، فسار عدد كبير من النساء إلى فرساي، وخلفهن المئات من الرجال المسلحين واقتحمن قاعات المجلس مطالبات بالخبز، ثم هاجموا القصر، ولكن الحرس حال دون وصولهم إلى هدفهن، ولكن في غفلة تمكنت الجموع من دخول القصر، وكان "لافايت" قد وصل إلى فرساي على رأس الحرس الأهلي، وطلب من الملك باسم البلدية العودة إلى باريس، وحال دون الجموع والملك، وقبل الملك العودة إلى باريس، وكان دخول الملك قصر "التويلري"، أول خطوة في سبيل قدره الأخير.

كان المجلس قد طلب من "لويس السادس عشر" أن يقبل مرسومات شهر أغسطس حينما حضرت النساء، وطالب أحد الزعماء بضرورة تموين باريس، وبضرورة إبعاد فرقة الفلاندرز عنها، وقد اعتقد الملك أنهم سيطلبون منه الموافقة عمل المرسومات، واعتقد أنه بموافقته عليها سينهي الأزمة، ولكن لافيات وصل مع مندوبي الكوميون، وطلب هؤلاء المندوبون من الملك الحضور من فرنسا للإقامة في العاصمة، وكانت موافقة الملك على المرسومات تمثل ميزة بالنسبة للمجلس الوطني، وفي يوم ٦ أكتوبر دخل المتظاهرين إلى ساحة القصر، وحاول رجال الحرس الشخصي أن يمنعهوهم، فانتهى الأمر إلى وقوع اتشباك وقتل أحد العمال، ثم بعض أعداء من الحرس، وقد وصلت الجماهير إلى جناح الملكة، التي هربت إلى جناح الملك. ثم جاء الحرس الوطني ليخلي القصر، وظهر لافيت بدوره، وخرج إلى الشرفة مع أفراد الأسرة الملكية، وهتفت الجماهير

معلنة ضرورة العودة إلى باريس العاصمة، وقد تم ذلك بالفعل، وتم التحرك صوب باريس تحت حماية رجال الحرس الوطني، وكان البعض يحملون الخبز على أسنة حراب بنادقهم، واشتملت المسيرة على عربات قمح مزدانة بأغصأن الأشجار، وكان رجال السوق والنساء يركبون على المدافع، واشتملت المسيرة على الحرس الوطني الشخصي، وعلى فرقة الفلاندرز وفرقة السويسريين وعلى عربة الملك وأسرته، وكان لافيت يسير على ظهر جواده.

الفصل الثامن

الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨)م

الأزمات الدولية الممهدة للحرب العالمية الأولى

أولاً : أزمة مراكش ١٩٠٦ – ١٩١١ م

في أعقاب الاتفاق الودي ١٩٠٤م فاوض "دلكاسيه" وزير خارجية فرنسا بشأن تقسيم مراكش دولة أسبانيا التي أقتنعت بالاستيلاء على (إقليم الريف) الشريط الساحلى من مراكش الذى يواجه ساحلهم عند جبل طارق، فلم يبق أمامها من معارض سوى ألمانيا التى كانت تهتم بمراكش، وتعمل على منع فرنسا من بسط سيطرتها عليها، فقام الإمبراطور "وليم الثانى" بالنزول فى ميناء طنجة فى مارس ١٩٠٥ وألقى خطبة، أكد لسلطان مراكش أن ألمانيا تعتبره سلطاناً مستقلاً آملاً تحافظ مراكش على سياسة الباب المفتوح. فى عام ١٩٠٥ اقترح الكونت "شليفن" رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية على حكومته إقحام حرب على فرنسا لاختبار متانة الاتفاق الودى الإنجليزى الفرنسى بشن هجوم دبلوماسى قوى. وبسبب هذه الأحداث اضطرت فرنسا تجنباً للحرب إلى إحالة الأمر على مؤتمر دولى.

ففى ١٦ يناير ١٩٠٦ عقد مؤتمر فى الجزيرة الخضراء، وحضره ممثلو اثنتى عشرة دولة وسرعان ما تحول هذا المؤتمر إلى صراع سياسى بين ألمانيا وفرنسا، حصلت فرنسا على تأييد صريح من روسيا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا، فى حين كان تأييد النمسا لألمانيا فى المؤتمر تأييداً فاتراً، فى المؤتمر انتصرت فرنسا لأنها حصلت على نصيب الأسد فى السيطرة واستبعدت ألمانيا وحلفاؤها كلية من الشرطة، فى حين نالت ألمانيا نجاحاً فى الرقابة المالية وفرض التجارة، فقد تأسس مصرف الدولة تحت إشراف الدول الأربع ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا، وأسندت قيادة قوة أمن الموانئ إلى ضباط فرنسيين وأسبانيين. فى أبريل ١٩١١ انتهزت فرنسا فرصة الوضع الداخلى فى المغرب، فأرسلت حملة حربية إلى فاس لمساعدة سلطان المغرب، فأثار هذا العمل ألمانيا وأرسلت

فى أول يوليه ١٩١١ الطراد الألمانى بانتر إلى ميناء أغادير، وأمام المخاوف الفرنسية والبريطانية من الوصول إلى حرب مع ألمانيا، بدأت المفاوضات بين فرنسا وألمانيا من أجل الوصول إلى تسوية لهذه المشكلة، وهكذا اتفقت الدول الاستعمارية فيما بينها على حساب مراكش.

استغلت كل من إيطاليا وبروسيا أزمة أغادير لتحقيق أطماعها فوجهت إيطاليا إنذاراً نهائياً إلى تركيا فى ٢٦ سبتمبر، وأعلنت الحرب عليها بعد ثلاثة أيام، واحتلت شواطئ طرابلس وجزر الدوديكانيز- ١٢ جزيرة فى بحر إيجة ، أهمها رودس-. على أن الأزمة انتهت بعد مفاوضات استمرت إلى ٤ نوفمبر ١٩١١ باتفاقية أصبحت المغرب بمقتضاها فرنسية فيما عدا طنجة والمنطقة الأسبانية، ولم تحتفظ ألمانيا إلا "بالباب المفتوح" للتجارة وتم تعويضها فى الكنغو الفرنسي.

ثانياً: أزمة ضم البوسنة والهرسك ١٩٠٨م

أن بقاء مقدونيا تحت الحكم العثمانى أثبت أنه مركز مزمن للاضطراب والقمع والشدة، وكان التهجم والامتعاض عظيمين فى أوربا، حينما عرف أن النمسا بدون علم حليفتها ألمانيا، ضمت البوسنة والهرسك فى أكتوبر ١٩٠٨، وأن بلغاريا بتشجيع النمسا أعلنت نفسها مملكة مستقلة عن الباب العالى، وقد رأت النمسا أن الفرصة سانحة لها لضم هذين الإقليمين الذين تحملت عبء إدارتهما منذ مؤتمر برلين ١٨٧٨ حيث وقعت البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمساوى المجرى. تم التصديق على بيان الإمبراطور النمساوى بموجب معاهدة عقدت فى استانبول – نصت عل ى إلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا، وكان هذا فى ٢٦ فبراير ١٩٠٩، وكانت جمعية الاتحاد والترقى هى القابضة على زمام الحكم فى الدولة العثمانية بعد أن أسقطت السلطان عبدالحميد الثانى من على عرش الحكم العثمانى، لذلك حدثت احتجاجات شعبية فى استانبول تندد بإلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا، وظهرت شائعات تقول بأن حكومة الاتحاد والترقى " باعت " البوسنة والهرسك للكفار

لذا فقد ألهب ذلك شعور السخط فى جميع أنحاء صربيا ، كما اعتبرت روسيا أن ذلك ضربة غادرة موجهة لها من جانب النمسا ، خاصة وأن ذلك جاء بعد هزيمتها أمام اليابان

عام ١٩٠٥ ، جعلها ضعيفة لا تستطيع أن تواجه النمسا بأى عداء ، مما أدى إلى تراجعها وتخاذلها ولم تصعد المشكلة، خاصة وأن الإنجليز أصدقاء الروس عارضوا فى فتح المضايق لمرور السفن الروسية فيها ، ولكن تخاذل روسيا كان ضربة لصربيا حليفتها، فأعلنت روسيا أنها لا تمانع فى ضم البوسنة والهرسك إلى النمسا أمام الضغط الألمانى، وقد تسبب ضم البوسنة والهرسك من جانب النمسا إلى ازدياد التوتر والاضطراب فى منطقة البلقان، كما أدى إلى الصراع السياسى بين كثير من الدول الأوربية. وعندما انسحبت الدولة العثمانية من بلاد البوسنة والهرسك لدولة النمسا والمجر، وقعت لأول مرة أعداد كبيرة من المسلمين تحت حكم غيرهم، فهاجر الكثير منهم إلى الأناضول والبلاد الأخرى التى بقيت تحت الحكم العثمانى، وكان الحكم النمساوى قاسياً على المسلمين بسبب الاضطهاد ومحاولات التنصير من طرف الكاثوليك، مما أدى إلى هجرة الكثير من المسلمين إلى تركيا.

ثالثاً: الحرب التركية الإيطالية ١٩١١ – ١٩١٢ م

أخذت إيطاليا تفكر فى إنشاء إمبراطورية فى أفريقيا، فأعلنت حرباً على الدولة العثمانية بعد أن حصلت على اعتراف الدول الكبرى باحتلال ليبيا، وأنزلت قواتها على الشواطئ الليبية واستولت على جزر الدوديكانيز فى بحر إيجة. ففى ٢٦ سبتمبر ١٩١١ أرسلت إيطاليا إلى تركيا إنذاراً أن تصدر تركيا أوامرها إلى قواتها بعدم التعرض للقوات الإيطالية، وانتشرت الأخبار بأن الباخرة التركية "درنة" فى طريقها إلى طرابلس محملة بالأسلحة والذخائر، فقدمت إيطاليا إلى الباب العالى مذكرة أشارت فيها إلى الأخطار التى تهدد الرعايا الإيطاليين فى طرابلس، وحذرت تركيا من أن إرسال السفن والمهمات الحربية سيعتبر عملاً غير ودى، ثم قدمت إيطاليا إنذارها إلى تركيا فى اليوم التالى بأن ضرورة ملحة لإنهاء حالة الفوضى والإهمال فى طرابلس وبرقة، وأن إيطاليا تطلب إجابة قاطعة من تركيا خلال أربع وعشرين وفى حالة عدم الإجابة ستكون إيطاليا مضطرة لأن تتخذ الخطوات اللازمة لتنفيذ الاحتلال.

ردت تركيا على الإنذار الإيطالى وأظهر الرد للإيطاليين حسن نية تركيا حيال إيطاليا ومشروعاتها الاقتصادية فى طرابلس وبرقة، وأكد لهم أن الحالة فى طرابلس لا تهدد

بالخطر وأن تركيا على أتم استعداد لكى تمنح إيطاليا امتيازات اقتصادية كافية فى هذه الولاية، على ألا يؤثر ذلك على السيادة العثمانية، وعلى ألا تقدم إيطاليا على احتلالها عسكرياً، فى ٢٩ سبتمبر أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا، وقد جاء التوقيت مناسباً حيث انشغال تركيا بمشاكلها الداخلية فى البلقان. وبعد أن فشلت إيطاليا فى إرغام تركيا على التنازل لها عن ليبيا قررت ضم ليبيا رسمياً فى فبراير ١٩١٢ ، ومن ناحية أخرى أرغم نشوب حرب البلقان فى أكتوبر ١٩١٢ تركيا على أن تعقد صلح " لوزان مع إيطاليا، وفى هذه المعاهدة تنازلت تركيا عن ليبيا لإيطاليا.

رابعاً: الحروب البلقانية Balkan Wars (١٩١٢ – ١٩١٣)

تمت مقابلة بين ملك إنجلترا وقيصر روسيا فى ريفال فى ظروف الوفاق الودى ١٩٠٧ لتصفية الخلاف بين الدولتين وفهم من هذا الوفاق أنه مساومة استعمارية بينهما على حساب الدولة العثمانية، فكان لابد من تحرك الضباط الأتراك لإيقاف هذه المؤامرة الخارجية، إلا أن الضباط أرسلوا إلى السلطان عبد الحميد يطالبونه بإعادة دستور ١٨٧٦ الذى عطله فى ١٨٧٨، وفى ٢٤ يوليو ١٩٠٨ أعلن السلطان إعادة الدستور وإلغاء الرقابة والجاسوسية وإجراء انتخابات لمجلس المبعوثان، قوبل إعلان الدستور بابتهاج بالغ فى كافة أنحاء الإمبراطورية، فأعلن أنور باشا أن الحكومة الاستبدادية قد انتهت وأصبح الجميع متساوون سواء بلغار أو يونانيون أو رومانيون أو يهود أو مسلمون نفخر بأننا عثمانيون، وفى مدينة سيريس تعانق رئيس جمعية الاتحاد والترقى فى بلغاريا مع البطرق اليونانى، وفى " دارما " سَجَنَ الضباط الأتراك أحد الأتراك لأنه أهان مسيحياً – وفى إحدى الكنائس الأرمينية اجتمع عدد كبير من الأتراك والأرمن للصلاة على روح ضحايا المذابح الأرمينية.

وفى أبريل ١٩٠٩ قامت اضطرابات فى العاصمة العثمانية على يد حركة موحدة بين العناصر الرجعية من أنصار السلطان عبدالحميد "وجمعية الاتحاد الحر" واحتل فريق من الجنود بقيادة أحد الألبان باحتلال البرلمان وقتل ضابطين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى كما قتل وزير العمل وجرح وزير البحرية، وفى نفس الوقت بدأت مذابح الأرمن فى بعض المدن، ويعتقد البعض أنه لولا هذه المذابح لكان فى إمكان عبدالحميد أن ينجز

الانقلاب الرجعى، فلما بلغت أنباء هذا الانقلاب سالونيك زحف محمود شوكت بقواته إلى العاصمة لحماية الدستور بالقوة واجتمع مجلس المبعوثان فى سان استيفانو فى شكل جمعية وطنية وأعلن موافقته على خلع السلطان عبدالحميد على أساس فتوى من شيخ الإسلام، وكان فى مقدمة الوفد ارباعى الذى تقدم إلى القصر السلطانى ليبلغ عبدالحميد نبأ عزله المحامى اليهودى عمانويل كاراسوافتوس أحد قادة الحركة الماسونية فى سالونيك، ثم تم تولية السلطان محمد الخامس الذى ظل ألعوبة فى يد الاتحاد والترقى الذين سيطروا على الحكم فى تركيا بزعامة أنور باشا حتى الحرب العالمية الأولى وهم الذين دخلوا الحرب فى جانب ألمانيا. الجدير بالذكر أن الأحداث تلاحقت، فكانت ثورات البوسنة والهرسك وبلغاريا وكريت، فأثارت هذه الثورات مشكلة النزاع بين المسلمين والمسيحيين من جديد.

لقد أثار ضم النمسا للبوسنة والهرسك الشعور القومى فى بلاد البلقان، وتبين البلقانيون مدى الضعف الذى وصلت إليه الدولة العثمانية بعد حرب طرابلس، ورأوا أن ساعة الخلاص من الحكم العثمانى قد حانت خاصة وأنهما كانوا يطمعون فى معاونة روسيا لهم بعد أن توترت العلاقات بينهما وبين النمسا، وتضاربت مصالحهما فى البلقان، وقد كانت روسيا ترغب فى بسط نفوذها على شبه جزيرة البلقان، هذا إلى جانب الهيمنة على البواغيز المؤدية إلى البحر المتوسط، وهذا بعد تخلص روسيا من الاحتلال الهولندى لموسكو والسيطرة عليها لمدة عامين منذ ١٩١٠ فى الوقت الذى تمكن فيه السويديون من حرمان روسيا من منفذها على بحر البلطيق عند رأس الخليج الفنلندى ولذلك ففى ١٤ مارس ١٩١٢ شجع الروس كل من صربيا وبلغاريا على توقيع معاهدة تضمن تعاونهما المشترك، فى حالة اعتداء أية دولة أوربية كبرى على حدودهما، وكانت هذه المعاهدة موجهة ضد دولة النمسا والمجر، حتى لا تتكرر مأساة ضم البوسنة والهرسك ، وكذلك موجهة ضد الدولة العثمانية حيث يفهم من نصوص المفاوضات أن كلتا الدولتين كانت تريد نصيبها من ميراث الدولة العثمانية المنحلة ، وقد عقدت معاهدة مشابهة بين بلغاريا واليونان، وكانت موجهة ضد الدولة العثمانية، ورغم أن روسيا شجعت تشكيل هذا التحالف إلا أنها اكتشفت أنه يهدد طموحاتها فى الدولة العثمانية الضعيفة

ولم تمر إلا فترة قصيرة حتى شرعت دول عصبة البلقان فى إعادة النظر فيما حصلت عليه، وبالتالى بدأت حرب البلقان الثانية (الحرب بين دول العصبة) فى ٢٥ يونيه ١٩١٣، فقد أعلنت بلغاريا فجأة الحرب على الصرب واستولت على قلب مقدونيا، ولكن سرعان ما دخلت اليونان الحرب إلى جانب الصرب ضد بلغاريا، وكانت النتيجة هزيمة القوات البلغارية، وانتهزت رومانيا هذه الظروف وأعلنت الحرب ضد بلغاريا وتقدمت قواتها حتى هددت صوفيا العاصمة البلغارية، وفى نفس الوقت تمكنت تركيا من استعادة أدرنة ، فاضطرت بلغاريا إلى عقد معاهدة بوخارست فى ١٠ أغسطس ١٩١٣ وفيها استعادت تركيا أدرنة، وبذلك أغلقت المنافذ البحرية فى وجه بلغاريا وانضمت كريت إلى اليونان وظهرت دولة مستقلة جديدة وهى ألبانيا لتمنع وصول الصرب إلى البحر الأدرياتى.

خامساً: حادث سراييفو Sarajevo ٢٨ يوليو ١٩١٤

كانت العلاقة بين النمسا وصربيا تسير من سئ إلى أسوأ والولايات اليوغسلافية المتفرقة حانقة على الحكم النمساوى، فتوالت المؤامرات لقتل كبار الموظفين النمساويين، في الوقت الذي كان فيه ولى عهد النمسا الأرشيدوق فرانز فردناند من أكثر المتشددين إزاء المشكلة الصربية ويرى أنه لا يمكن تسويتها إلا بالقوة، ورأى تمهيداً لذلك جلب البوسنة إليه فزار عاصمتها سراييفو لهذا الغرض فى ٢٨ يونيو ١٩١٤، أطلق عليه أحد طلاب المدارس العالية وعضو جمعية اليد السوداء الصربية ويدعى غفريلو برنسيب النار فقتله هو وزوجته، فأقدمت الحكومة النمساوية ومؤيدتها الحكومة الألمانية على التذرع بهذا الجرم لتخطو خطوة واسعة فى أوربا. ففى يوم ٢٣ يوليو ١٩١٤ قدمت الحكومة النمساوية إنذاراً نهائياً شديد اللهجة إلى الصرب قصد به أن يقابل بالرفض إذ كان ينطوى على تقويض استقلال الصرب وقد تضمن الإنذار عدة مطالب، وكان أول خاطر جال فى الأذهان هو أن الحكومتين النمساوية والألمانية تريدان أن تتخذا من هذه الجريمة نكاية لسلب صربيا استقلالها، وربما أيضاً لإقحام حرب عامة على روسيا وفرنسا قبل أن تستكمل السكك الحديدية الروسية، وتصبح معدة للقيام بأعباء الحرب، هذا برغم قبول صربيا سبعاً من العشر التى حواها الإنذار النهائى النمساوى، وذلك أن الجيش الذى تعطش طويلاً إلى تأديب " أمة القتلة والسفاحين " لم يقصد أن تفلت من أنيابه هذه المرة.

☒ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)م

في أكتوبر عام ١٩١٤ كتبت مجلة ماكلين الكندية بعض الحروب تُسمِّي نفسها، هذه هي الحرب العُظمى. وهناك اسم آخر نُشر في نيويورك أوائل شهور الحرب كان بعنوان الحرب العالمية استُخدم اسم الحرب العالمية الأولى لأول مرة في سبتمبر من عام ١٩١٤ من قبل الفيلسوف الألماني إرنست هيكل حيث قال: أنه لا يوجد شك في أن خشية مسار وطابع الحرب الأوروبية سوف يكوِّن الحرب العالمية الأولى بالمعنى الكامل للكلمة. أيضًا ذُكر اسم الحرب العالمية الأولى في عام ١٩٢٠ من قبل المؤرخ والصحفي الإنجليزي تشارلز ريبنجتون.

كان الحلفاء فى عام ١٩١٤ يتفوقون على الدول المركزية فى القوة العسكرية، فقد كان لديهم ٣٠ مليون محارب، فى مقابل ٢٢ مليون للدول المركزية ، وكان للبحرية البريطانية السيطرة على البحار. وضعت ألمانيا خطة الحرب منذ سنوات، فهى بالتالى مستعدة لخوض غمار هذه الحرب، فعندما أعلنت الحرب على فرنسا، دخلت خطة الكونت فوت شليفين الحربية، وهى التى وضعها فى عام ١٩٠٥ وأقرت رسمياً فى عام ١٩١٢ فى دور التنفيذ، وتقوم على الهجوم على فرنسا أولاً عن طريق اختراق حياد بلجيكا ولكسمبورج واحتلال باريس، ثم التحول إلى روسيا للهجوم عليها، وهذا يعنى ترك بروسيا الشرقية معرضة لضربة من جانب روسيا الرابضة فى الشرق، ولكن هذا الأمل كان معقوداً على صمود النمسا والمجر أمام روسيا لمدة ستة أسابيع، تكون باريس فيها قد سقطت ويمكن بعدها إرسال الإمدادات إلى الجبهة الشرقية، على أن روسيا انتهزت فرصة انشغال القوات الألمانية فى فرنسا، لإنقاذ جيشين كبيرين لتطويق القوات الألمانية فى بروسيا الشرقية، الأمر الذى اضطر ألمانيا إلى سحب ثلثى قواتها من الجبهة الغربية لمواجهة هذا الخطر.

ولما كانت الخطة الألمانية مدبرة من سنوات عدة ، فهى من ثم خطة عتيقة يمكن إحباطها لو أنها قوبلت باستعمال الخنادق والأسلاك الشائكة والمدافع الرشاشة استعمالاً صحيحاً ، ولكن الفرنسيين لم يكونوا متقدمين فى فنهم العسكرى تقدم الألمان ، فركنوا إلى

أساليب الحرب المكشوفة التى كانت متأخرة ، ولم يكن لديهم عتاد مناسب لا من الأسلاك الشائكة ولا من المدافع الرشاشة.

وكان الدفاع عن الحدود البلجيكية موكولاً بحصون " لييج Liege " وهى حصون قديمة الطراز عشر سنوات أو اثنى عشرة سنة ، وفيها استحكامات زودها بالأسلحة وركبها فى كثير من الحالات مقاولون من الألمان ، وكان العتاد فى الحدود الفرنسية الشمالية الشرقية رديئاً جداً ، وطبيعى أن شركة الأسلحة الألمانية المسماة كروب أعدت لهذه الحصون الهزيلة معاول تتمثل فى مدافع ذات ضخامة استثنائية تقذف بقنابل شديدة التفجر ، وأثبتت هذه الحصون أنها ليست إلا مجرد مصايد لحماية المدافعين.

وكانت لألمانيا والنمسا والمجر فى أول العمليات، قوات عسكرية تستطيع من الناحية العددية أن تحافظ عل التناسب مع قوات الخصوم، وكان مجموع الأهالى الألمان مزودين بوطنية إيجابية وبشعور عميق بالعظمة والوطنية، وبروح تضحية فى صالح الدولة وبتقاليد عسكرية قوية، أضف إلى ذلك أن ألمانيا كانت مركز التحالف الثلاثى المذكور حتى وإن كانت كل من النمسا والمجر لا تمثلان مركز ثقل لألمانيا.

أما بريطانيا فقد جاهدت قدر الاستطاعة فى سبيل حفظ السلام فى بداية الحرب، فعلى حد قول "فشر" أنه لا يمكن أن توجه إليها تهمة السعى إلى إشهار الحرب ، فإنه كان أمراً لا مفر منه ، فعند إقحام فرنسا فى الحرب نجد أن الشعب البريطانى نفسه كان لا يريد الحرب حتى أنه لولا غزو ألمانيا لبلجيكا لحل بصفوف الوزارة والبرلمان والأمة الانشقاق وتفرق الكلمة.قام الفرنسيون بهجمة فاشلة فى جبال الأردن الجنوبية وتأرجحت الجيوش الألمانية حول المسيرة الفرنسية حتى أيقن الناس أن جيوش لا قبل لأحد بمقاومتها وسقط آخر حصن فى لييج فى ١٦ أغسطس ، وبلغ الألمان بروكسل فى ٢٠ أغسطس ، وعند مونز أصيب الجيش البريطانى الصغير المكون من سبعين ألفاً والذى وصل إلى بلجيكا بضربة قاضية من قوات ساحقة.

كانت ألمانيا هى التى احتفظت بالمبادءة فى العمليات الحربية خلال فترة تزيد على ثمانية عشر شهراً ، وكانت حملة العمليات الحربية تميزت بالمجهود الكبير الذى بذله الجيش الألمانى بمعاونة الجيش النمساوى المجرى لهزيمة القوات العسكرية الروسية التى

لم تتمكن فرنسا وبريطانيا منذ دخول تركيا الحرب واستمر الهجوم لفترة خمسة أشهر دون أن تتمكن محاولات فتح الجبهات الجديدة التى قام بها حلفاء روسيا – الهجمات الفرنسية فى آرتوا وفى شمبانيا والهجوم البريطانى الفرنسى على الدردنيل – ولم تدخل إيطاليا الحرب ، وكانت النتائج الحربية ضخمة، ما دام الجيش الروسى قد أجبر على أن يترك علاوة على ذلك الجزء من "غاليسيا" الذى كان قد احتلته فى عام ١٩١٤، الأراضى البولندية واللتوانية من الإمبراطورية، ويفقد بين القتلى والجرحى والأسرى ما يزيد على ١,٧٠٠,٠٠٠ رجل، أى نصف قوته المحاربة تقريباً، ويترك بين أيدى العدو جزءاً من مدفعيته، ولمدة شهور ستبقى القوات الروسية غير قادرة على القيام بهجوم من جديد.

أما إيطاليا فقد احتفظت بحيادها فترة من الوقت نظراً لأن إعلانها الحرب ضد دول الوفاق فى ذلك الوقت لم يكن هناك ما يبرره، خاصة وأنها أعلنت " أنها لا تستطيع أن تساعد حلفاءها فى التحالف الثلاثى (ألمانيا والنمسا) فى حرب عدوانية من جانبهم، وأنها ملتزمة بتحالف دفاعى فقط ، وإن كنا نرى فيما بعد أنها دخلت الحرب إلى جانب دول الوفاق (فرنسا وروسيا وبريطانيا)، وفى نفس الوقت كانت إيطاليا ترغب فى الحصول على نقاط استغناء على شواطئ البحر المتوسط وخاصة فى ليبيا وشرقى المتوسط، وكانت تخشى أن تسيطر دولة أخرى على البحر المتوسط، وفى الواقع أن بريطانيا كانت تراقب أبواب المتوسط إذ كانت تسيطر على قناة السويس ومضيق جبل طارق، كما كان لها قوة بحرية كبيرة فى البحر المتوسط، وهذا يعنى أن الشواطئ الإيطالية يمكن أن تكون فى حالة الحرب تحت رحمة الأسطول الحربى البريطانى ، وقد برر هذا حياد إيطاليا فى عام ١٩١٤ حينما نشبت الحرب الأولى.

أما الدولة العثمانية فقد دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا، بعد تورطها فى حرب الموانى الروسية على البحر الأسود فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٤، فأعلنت روسيا الحرب عليها، وانضمت كل من فرنسا وبريطانيا إلى جانب روسيا وأعلنتا الحرب على الدولة العثمانية فى ٥ نوفمبر، مما جعل الدولة العثمانية بدورها تعلن الحرب على الدولتين فى ١١ من نفس الشهر، وبالتالى أعلنت بريطانيا زوال السيادة العثمانية وقيام الحماية البريطانية على مصر، وبذلك أصبح إشرافها تاماً على القناة، وبذلك صار الصراع علنياً وشمل القتال كل

قارات العالم خاصة بعد أن دخلت ميدان الصراع كل من اليابان والتى لم يكن التحالف البريطانى اليابانى يلزمها بدخول الحرب ولكنها رأت فى دخول الحرب فرصة سانحة لها لاحتلال مستعمرات ألمانيا فى الصين ، والمحيط الهادى فتشفى بذلك غليلها من كثرة الإهانات التى ألحقت بها من الجانب الألمانى ثم دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فيما بعد – وكان تدخلها فى ٦ أبريل ١٩١٧ أمراً حاسماً إذ جاء بمثابة تعويض عن قرب تخلى روسيا عن الحلفاء.

وقد تسبب دخول تركيا الحرب جانب ألمانيا ودول الوسط فى مساندة إنجلترا وفرنسا أعمال المقاومة ضدها فى البلقان، وكان الثمن الذى دفعته تركيا هو التخلى عن المنطقة، كما تسبب دخول تركيا الحرب ضد روسيا أن أنفذ الحلفاء أسطول بريطانى لاقتحام الدردنيل ، وجيشاً إلى شبه جزيرة غاليبولى خط الدفاع الاستراتيجى عن القسطنطينية وضم هذا الجيش نحو ٣٠٠٠ رجل مصرى حققوا نجاحاً عظيماً للقوات الإنجليزية ، وفى تقرير من وينجت إلى بلفور يبين أنه عندما زاد الطلب على أهل الريف خلف خطوط القتال فى غاليبولى وفرنسا وسيناء والعراق وفلسطين نظراً لقدرتهم على تحمل الأعباء اليدوية الشاقة ، أنه خلال الفترة من سبتمبر ١٩١٥ إلى آخر مارس ١٩١٦ تم جمع نحو ١٩٥٣٧ عاملاً (زاد العدد ليصبح ٧٢٥٤٨ فى ٣١ مارس ١٩١٧ ثم زاد إلى ٩٧٥٧٨ فى ٣١ مارس ١٩١٨ وزاد مرة أخرى فى ٣٠ يونيو ليبلغ نحو ١٠٦٨٥٠ عاملاً، وهناك تقرير آخر يوضح أن ما تم جمعه من عمال التراحيل كان نحو ١٤٦٠٠ عاملاً شهرياً، فى حين أن أحمد شفيق فى حولياته قدرها نحو نيفاً ومليون فرد، كما أعلن السير مورای عن حاجته إلى ١٢٠٠٠ فلاح مصرى شهرياً لفيلق العمال و ٥٠٠٠ فلاح شهرياً لفيلق النقل بالجمال وأوضح أنه لا يمكن تحقيق ذلك إلا عن طريق التجنيد الإجبارى، أيضاً طلب اللواء هربرت أعداداً أخرى من الرديف للعمل فى فرقة التشهيلات المساعدة

ناهيك عن استخدام القوات البريطانية كثير من المجالات المصرية مثل الأفراد والدواب ووسائل النقل وعلف الدواب رغم أنف المصريين للخدمة فى كثير من ميادين القتال وكان لهؤلاء دور كبير فى انتصار الحلفاء، ليس هذا فحسب، فقد قدمت مصر مدرسة البوليس لاستعمالها مستشفى حربية، هذا جانب المستشفيات المصرية ودور

جمعية الهلال الأحمر المصرى فى الحرب، لصالح الجرحى الإنجليز وحلفائهم، كما تم استخدام قناة السويس لصالح الحلفاء، أيضاً قامت السلطة العسكرية البريطانية بتقييد الحرية التجارية المصرية مع دول العالم، وأن القوات البحرية والحربية البريطانية يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية، وكل ما يجرى الاستحواذ عليه فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية من سفن حربية أو تجارية أو بضائع يجوز إحالته على إحدى محاكم الغنائم البريطانية، وكان الغرض من اقتحام المضايق إنشاء ممر بين البحر المتوسط والبحر الأسود مع الاستيلاء على العاصمة التركية، لإنقاذ روسيا من عزلتها، وتمكين الدول الغربية من الاتصال بها حتى يمكن تطويق ألمانيا فى كل مكان، وعزل تركيا عن حلفائها، فعندما دخلت تركيا الحرب واعتدى الأسطولان الإنجليزى والفرنسى على مضيق الدردنيل رغم تحصينه ومضيق البسفور، فقد كانت هناك آراء بأنه يمكن منع الأسطول من الاقتراب من المضايق، أوعلى الأقل منعه من الإنزال البرى، مع التخوف من حدوث إنزال برى فى حالة وجود أسطول قوى ، وخاصة إذا تمكن العدو من اكتساب موقع على الساحل

ولكن هذه الحملة (حملة الحلفاء) لم تنجح ، فقد انهزم الأسطول الإنجليزى هناك فى ١٨ مارس ١٩١٥، وفشلت الحملة البرية فى اقتحام غاليبولى واضطرت إلى الانسحاب النهائى وعجزت روسيا عن مد يد المساعدة لحلفائها كما كانوا يتوقعون، لذا عمد الحلفاء إلى مهاجمة تركيا فى إمبراطوريتها فى الشرق الأوسط فقد استولوا على الجزء الأكبر من العراق ودخلوا بغداد، واستولوا فى فلسطين على يافا وبيت المقدس بمساعدة الآلاف من العمال المصريين الذين قامت بجمعهم السلطات البريطانية فى مصر حيث قاموا بتعبيد الطرق إلى فلسطين، ثم استخدمتهم فى العراق وفرنسا، كما تصدت القوات المصرية للأتراك وطردهم من سيناء، بل كان للقوات المصرية دور كبير فى فشل الحملة التركية على قناة السويس فى فبراير ١٩١٥ من خلال فرقة العمال وفرقة الجمالة المصرية – ومساعدة القوات الإنجليزية فى تمهيد الطرق وعبور سيناء إلى فلسطين.

وفى مصر قام فون كريستشاتاين بشن هجومه الأخير على قناة السويس فى صيف ١٩١٦ ولكنه تعرض للهزيمة، وأصبحت القوات البريطانية التى صارت تحت قيادة الجنرال

موراى فى وضع يسمح لها بطرد الأتراك من سيناء، وبحلول ديسمبر ١٩١٦ وصلت إلى العريش ومنها إلى غزة٠ ولكن بخروج روسيا من الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٧ استبعدت من الاتفاقية، وأعلن القائمون على الثورة البلشفية فى روسيا أن العهد الجديد قد نفض يده من كل المعاهدات العدوانية التى عقدتها روسيا القيصرية مع غيرها من الدول الأجنبية، وأن هذا العهد يريد إقامة علاقات تعاون مع الشعوب واستنكار اغتصاب الدول الكبرى لأراضى الدول الصغرى وبالتالى تنازلت روسيا عن نصيبها فى ممتلكات الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة لندن السرية فى عام ١٩١٥، وانفردت إنجلترا وفرنسا بالتقسيم.

وفى بداية عام ١٩١٧ ، توقف التقدم الألمانى ضد الحلفاء، وكانت الحروب مشتعلة على كل الجبهات ، وكان العثمانيون يحاربون فى تسع جبهات وهم فى حالة يرثى لها من قلة الزاد والعتاد، فى الوقت الذى كان فيه حلفاء الدولة العثمانية لا يقدمون ما وعدوا به، ذهب وفد عثمانى للقاء السلطان السابق (عبدالحميد) وطلب منه النصيحة بما يجب عمله ، فكان رد السلطان : " إن القضايا التى تحدثتم فيها تعتبر أموراً طبيعية لطريق منفرد تم السير فيه ، لقد تعقبتم – من بعدى – سياسة مختلفة تماماً عن سياستى ، جعلتم مشكلة البوسنة والهرسك تخرج من إطارها الذى رسمته أنا لها وهو أنها مشكلة نمساوية – روسية ، فجعلتموها مشكلة عثمانية – روسية ، وأخرجتم مشكلة كريت من كونها مشكلة إنجليزية – روسية ، وجعلتموها مشكلة عثمانية – يونانية ، ووقعتم فى خطر كبير عندما أزلتم بأنفسكم الخلاف بين الكنيستين اليونانية والبلغارية ، وبذلك أوجدتم الفرصة أمام تحالف البلقان ، وجعلتم الباب مفتوحاً لكى تقوم كل من الصرب والجبل الأسود وإيطاليا بإثارة الألبان الذين حافظوا على علاقاتهم بالدولة العثمانية ببعض الامتيازات الخاصة ، وجعلتم حق القرار فى مجلس "المبعوثان" مسرحاً لنتائج خطيرة من شأنها تقديم الإمكانات الحيوية لاتحاد غير المسلمين، وبكل هذه الأخطاء خرج محور التوازن السياسى الذى تستند إليه الدولة عن مجراه، ولو لم تحدث حرب البلقان لما حدثت الحرب العالمية الأولى" ، وقال : "إن المنتصر فى هذه الحرب هو الجانب الذى يملك القدرة البحرية الحربية، والمصادر الطبيعية لدى الألمان محدودة، وحدودنا طويلة ولذلك نجد

مشقات كثيرة فى الدفاع عنها، ذلك لأننا نستورد السلاح واحتياجاته، وإننا الآن مجبرون على أن نتلقى هذه النتائج التى ظهرت بالفعل ولا بد من التسليم باضطرارنا لهذا ، ثم ما معنى استشارتكم لى بعد أن تكدست النتائج التى أسفرت عنها الأحداث السابقة.

الجدير بالذكر أن الضباط العرب العاملين فى الجيش العثمانى انضموا إلى قوات الثورة العربية ، وذلك لأن جمال باشا قام بسبب إخفاقه فى حملته على مصر بأن ألقى القبض على عدد كبير من الناس وقدمهم إلى محكمة عسكرية فى عالية بجبل لبنان وحكم على ١٣ منهم بالإعدام فى أغسطس ١٩١٥ ببيروت، وفى ٥ أبريل ١٩١٦ قام جمال باشا بأعدام ٢١ شخصية منهم سبعة فى دمشق و١٤ فى بيروت من بينم عبدالحميد الزهراوى عضو مجلس الأعيان الذى ترأس المؤتمر العربى فى باريس، مما عجل بصيحة العرب للثورة العربية ضد العثمانيين، وقد وصلت الضباط العرب المنضمين للثورة بعض المعدات من الحلفاء بعد أن أدركوا أهمية الثورة لهم، حيث قيدت هجوم الجيوش العثمانية على قناة السويس، كما حالت دون نجاح الحملة العثمانية الألمانية إلى جنوب الجزيرة، وواصلت الجيوش العربية تقدمها حتى وصلت إلى العقبة فى يوليه ١٩١٧ .

إلا أن الثورة العربية خابت فى تحقيق أهدافها بإقامة الدولة العربية المستقلة، وذلك بسبب تآمر بريطانيا وفرنسا عليها بعملية التقسيم السرية سالفة الذكر وفى نفس الوقت حدثت نكبة الدولة العثمانية فى حرب البلقان أمام الدول الأربع (اليونان وبلغاريا والجبل الأسود والصرب)، وعلى حد قول السلطان السابق عبدالحميد: " أن الذى هزمنا ليس الدول الأربع، وإنما تدخل الجيش فى السياسة"، وقال: "أن سقوط سالونيك يعنى سقوط إستانبول ، وهذا يعنى ضياع الدولة العثمانية".

ناهيك عن وصول نبأ هدنة مودروس ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ ، حيث رفع قومندان باب المندب هذا النبأ الوارد من حاكم جزيرة ميون البريطانى فى حينه إلى سعيد باشا قومندان لحج ليتخذ الإجراءات اللازمة تبعاً لما يراه، ونتج عن ذلك انسحاب الدولة العثمانية من اليمن نهائياً فى نهاية الحرب العالمية الأولى، وبالتالى خرجت الإمبراطورية العثمانية من الحرب إثر هدنة مودروس ، ولم يكن فى مقدور طلعت وأنور، اللذان عقدا هذه المعاهدة ،

أن يقوما بمفاوضات الصلح، لأنهما كانا فى أعين الأعداء المسئولين الرئيسيين عن دخول تركيا الحرب، أما فريد باشا الذى قبض على أزمة الحكم فى ٤ مارس ١٩١٩ بيد أن ثقته بمبدأ ويلسون الذى نص على أن تتمتع الأجزاء التركية من الإمبراطورية العثمانية بالسيادة الكاملة ما لبثت أن منيت بخيبة أمل فاضحة، وفى ١٥ مايو ١٩١٩ احتل اليونان أزمير بالاتفاق مع الحلفاء

إلا أنه وعلى الرغم من تخوف ألمانيا من خزلان إيطاليا لها، ففى مايو ١٩١٥ دخلت إيطاليا الحرب ضد النمسا، بعد أن كانت قد أعلنت حيادها عند نشوب الحرب ، فقد أغراها الحلفاء على الانضمام إليهم لتخفيف الضغط عن روسيا بالاشتباك مع النمسا، وعقدت معاهدة معها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا (معاهدة لندن) التى تقضى بإعطاء إيطاليا منطقة الترنتينو والتيرول الجنوبى حتى ممر برنر وتريستا وشبه جزيرة استريا وشمال دلماشيا، وميناء فالونا فى ألبانيا وجزر الدوديكانيز فى بحر إيجه، كما سمح لها بتوسيع ممتلكاتها فى أريتريا والصومال. ولكن إيطاليا واجهت بعد هجومها على النمسا حملة مشتركة من الدول المركزية بقيادة القائد الألمانى "بيلوف" وهزمت إيطاليا فى كاربوريتو فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧

وكان الدور الثانى من أدوار الحرب حملة مدبرة تدبيراً أقل إحكاماً ترمى إلى تطويق ميسرة جيوش الحلفاء والاستيلاء على ثغور القنال الإنجليزى إلى الساحل فيما يشبه السابق ، ثم انطلق الألمان بما لهم من تفوق عظيم فى المدافع والعتاد محاولين إنزال ضربة قوية بالإنجليز بالقرب من " إيبر" ومنع المدد الآتى من إنجلترا إلى فرنسا ومن ثم امتد كل من الجيشين غرباً وكادوا أن يحدثوا ثغرة فى صفوفهم لولا أن صمد لهم الإنجليز

وشن الألمان على الفرنسيين هجوماً هائلاً دام طيلة النصف الأول من عام ١٩١٦ حول فردان، ولكن الألمان أصيبوا بخسائر فادحة ثم صدتهم القوات الفرنسية بعد أن تقدموا فى الخطوط الفرنسية بضعة أميال، وتعادلت الخسائر الفرنسية خسائر الألمان، وكان المشاة الفرنسيون يرددون قولهم " لن يمروا " وبعد أن فشل الألمان فى اختراق جبهة الحلفاء الغربية، وبعد هجوم فاشل قام به الحلفاء دون الاستعداد له بما يلزمه من عتاد ومواد، عاود الألمان التفاتهم إلى روسيا، وأصابوا الروس بسلسلة من الضربات

الفادحة استحدثوا فيها طريقة جديدة من الحشد الشديد للمدفعية، فهزموهم فى جنوب الجبهة الروسية أولاً ثم فى شماله.

☒ حرب الغواصات ودخول الولايات المتحدة الحرب ١٩١٧م

كانت اتجاهات الحكومة الأمريكية فى الأيام الأولى لنشوب الحرب تدعو إلى أن تظل الولايات المتحدة بعيدة عن هذه الحرب التى أشعلها محترفو السياسة من الأوربيين ، وظهرت الصحافة فى الولايات المتحدة – غداة نشوب الحرب الأوربية – تشيد بابتعاد الأمريكيين عن الحرب ، وتهزأ من هؤلاء الأوربيين الذين يخوضون حرب شاملة ليس لها مبررات قوية من وجهة نظر الصحافة الأمريكية.

ومن أسباب تدخل الولايات المتحدة الحرب الآتى :

كان الرئيس ويلسون قد استلم من الحكومة الألمانية مذكرة تعلن فرض الحصار على سواحل الجزر البريطانية وسواحل فرنسا ، وتعلن السفن المحايدة ستتحرك على مسئوليتها فى بحر المانش ، وبحر الشمال ، وبحر إيرلندا ، والحوض الغربى من البحر المتوسط ، أى أن حرب الغواصات التى كانت قد بدأت فى ١٩١٥ والتى أوقفت منذ مايو ١٩١٦ حتى لا تتعرض للمصالح الأمريكية ستعود من جديد ، وسيقومون بها " بدون أى تحديد " ورد الرئيس ويلسون بقطع العلاقات الدبلوماسية ولكنه كان يأمل فى أن يكون ذلك كافياً لإعادة ألمانيا إلى صوابها ، وأنه لن يقوم بالدفاع عن حرية البحار بقوة السلاح إلا فى حالة ما إذا تبعت التهديد الألمانى ، وكانت الأحوال الاقتصادية هى التى أدت إلى أول رد فعل للمصدرين الأمريكيين أمام المخاطر التى يعنيها إعلان حرب الغواصات بغير حدود ، وهو وقف الحركة فى المنطقة التى أعلن فيها الحصار ، وهذا القرار شل عمليات التصدير الموجهة صوب فرنسا وصوب بريطانيا ، وتسبب فى " تخمة اقتصادية " فى الموانئ الأمريكية المطلة على المحيط الأطلنطى ، والتى ضاقت بالبضائع التى لم تعد السفن التجارية تنقلها ، وبدأ من الضرورى لعلاج هذه الحالة ولتشجيع أصحاب السفن على العودة إلى الحركة وإعطاء السفن التجارية الوسائل اللازمة لكى تدافع بها عن نفسها ضد هجوم الغواصات ، ولذلك فإن مسألة تسليح السفن التجارية الأمريكية طرحت أمام البحث إلى أن حصل الأسطول التجارى بقرار رئاسى على التصريح بحمل المدافع.

استخدمت الغواصات لإغراق سفن الأعداء فى المياه الإنجليزية فى ٤ فبراير ١٩١٥ ، وفى أبريل أغرقت الغواصات الألمانية الباخرة لوزيتانيا على مقربة من ساحل أيرلندا وعليها ألف راكب منهم أكثر من مائة أمريكى، وعندما تحرك الرأى العام ضد ألمانيا أوقفت عمل غواصاتها ، ولكنها عادت إلى العمل من أول مارس ١٩١٦ وفى ٢٤ مارس أغرقت الباخرة ساسكس، ثم لجأ الألمان إلى حرب الغواصات بهدف إغراق أية سفينة تجارية دون سابق إنذار وذلك لتجويع بريطانيا، ففى الأشهر الأخيرة من عام ١٩١٦ أغرقت الغواصات الألمانية ما حمولته ٣٠ ألف طن كل شهر، وفى بداية عام ١٩١٧ كان لدى الألمان نحو ١٢٠ غواصة ارتفع عددها إلى ١٣٤ فى أكتوبر ١٩١٧، وكان تصعيد حرب الغواصات التى كانت تشنها البحرية الألمانية تعنى زيادة الخسائر الاقتصادية بالنسبة للأمريكيين وتصعيد عدد المتعطلين خاصة فى موانئ أمريكا الشمالية حتى لقد طغت موجة السخط الأمريكى ضد الألمان على الأعمال البريطانية العسكرية التى أضرت بالمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة ، فالواقع أن كل من الحلفاء ودول الوسط أضر بطريقة أو بأخرى باقتصاديات أمريكا، وهناك العديد من الحوادث التى وقعت ضد الاقتصاد الأمريكى على يد الإنجليز فقد وسعت بريطانيا من مفهوم " الممنوعات " التى يجب أن تصادرها حتى لا تصل إلى ألمانيا ، فأدخلت فى قائمة " الممنوعات " المواد التى تشتريها الدول المحايدة من الولايات المتحدة بقصد إرسالها إلى ألمانيا، وبهذا فإن العامل الاقتصادى أعتبر من أهم العوامل التى دفعت الولايات المتحدة إلى دخول الحرب إلى جانب دول الوفاق، خاصة بعد أن سمحت الولايات المتحدة للمصارف الأمريكية بتقديم قروض لدول الوفاق ، كما أن قضية "زيمرمان" تعتبر الحدث الثانى الذى عجل بدخول الولايات المتحدة الحرب ضد ألمانيا

أن قضية زيمرمان مساعد أمين سر الدولة الألمانية فى وزارة الشئون الخارجية ، فقد أرسل زيمرمان إلى سفير ألمانيا فى مكسيكو برقية يقترح فيها على المكسيك أن تكون حليفة لألمانيا فى حالة نشوب الحرب بين ألمانيا والولايات المتحدة، وبعد استرجاع الأراضى التى أخذتها الولايات المتحدة من المكسيك عام ١٨٤٨ " تكساس وأريزونا والمكسيك الجديدة " وأضاف زيمرمان بأنه يمكن من خلال المكسيك الدخول فى مفاوضات

مع اليابان لتتخلى عن دول الوفاق وتتحالف مع ألمانيا، إلا أن برقية زيمرمان وقعت فى يد المخابرات البريطانية وسلمت إلى رئيس الولايات المتحدة الذى أذاعها، وقد كان أثر هذا الحادث كبيراً فى الولايات المتحدة، فقد ظهرت موجة استياء كبيرة ضد ألمانيا، عموماً أن هذه الأحداث قد أدت إلى تطور الرأى العام الأمريكى لصالح دول الوفاق ، إلا أن تصميم ألمانيا على مواصلة حرب الغواصات هو الذى دفع الولايات المتحدة إلى دخولها الحرب.

أما عن أبعاد التدخل الأمريكى فى الحرب فإنه غير كل حسابات الألمان ، إذ أن حملة السفن التجارية الموجودة من أجل تموين الجزر البريطانية قد زادت بنسب هامة ، ففى فترة رئاسة ويلسون الثانية كان لروزفلت الذى أصبح رئيساً للولايات المتحدة فيما بعد دوراً هاماً حيث ظل ينادى بوجوب الاستعداد الكامل فى حالة اضطرار الولايات المتحدة للاشتراك فى الصراع ، وعندما حدث ذلك بالفعل فى عام ١٩١٧ رمى بكل ثقله فى المعركة لكسب الحرب ، كما عمل على تأييد مشروع بث الألغام فى بحر الشمال حيث نجح هذا المشروع رغم أنه تم متأخراً، وأصبح الأسطول التجارى الأمريكى كله تحت تصرف منظمات النقل المشتركة للحلفاء، كما دخلت كل دول أمريكا اللاتينية الحرب بدخول الولايات المتحدة، وأخذت فى مصادرة السفن التجارية الألمانية التى كانت قد التجأت إلى موانيها منذ ١٩١٤ ووضعتها فى خدمة دول الوفاق أو فى خدمة الولايات المتحدة، وأخيراً فإن الدول الأوربية المحايدة قد أنذرت بأنها ستحرم من السلع الأمريكية، ما دامت سفنها ترفض الإبحار، ولا شك فى أنه كانت هناك أسباباً أخرى لفشل حرب الغواصات ، تقنينية وتكتيكية.

وكان لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء أهمية كبيرة ، عوضتهم فيما بعد انسحاب روسيا من الميدان، وأخذت الخسارة تقل رويداً رويداً عندما نجح الحلفاء فى تحطيم عدد كبير من الغواصات الألمانية وهو السلاح الذى كانت ألمانيا تستخدمه بنجاح، كما أحكم الحلفاء الحصار البحرى على ألمانيا بفضل عون الأسطول الأمريكى، كما خففت القروض الأمريكية من متاعب الحلفاء وقلقهم المالى، كذلك سلب ظهور جيش أمريكى

جرار حسن العدة والتجهيز فى الميدان الغربى فى آخر عام من أعوام الحرب – سلب الدولتين الوسطين آخر فرصة لإبرام صلح ملائم لهما.

☒ الثورة الروسية ١٩١٧

كانت الظروف الداخلية فى روسيا من أهم الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة الروسية ، فقد كان هناك تذمر عام فى البلاد ، حيث عم السخط المنظمات الطلابية فى الجامعات الروسية ، كذلك الطبقة الوسطى كانت تأمل فى إحداث تغييرات دستورية بعيدة المدى ، أضف إلى ذلك مطالبة الفلاحين بضرورة وضع قوانين عادلة ، وبالرغم من هذه الظروف إلا أنه عند قيام الحرب تجاهلت الأحزاب السياسية تلك الظروف والخلافات ، وظهرت على الساحة روح جديدة من الولاء الوطنى للقيصر ، ولكن هذا الولاء لم يستمر طويلاً ، ففى ١٩١٥ زحف الألمان تجاه روسيا عبر بولندا ، وتلقت القوات الروسية العديد من الهزائم التى أثرت فى الروح المعنوية لهذه القوات والأحزاب والروس جميعاً حتى بلغ الأمر أن انتصار روسيا فى الحرب أصبح خيال بعيد المنال طالما أن الطبقة الأرستقراطية لا تزال تسيطر على إدارة البلاد الروسية . فى ١٥ مارس ١٩١٧ أرغم قيصر روسيا على النزول عن عرشه، ثم بدأت سلسلة من الأحداث بشغب عام فى " بترغراد " فى ٨ مارس، وانقطاع الصحف عن الظهور، ثم اعتصام عمال الترام فى ١٠ مارس، وفى ١١ مارس أعلنت أورطة عسكرية عصيانها، ثم حدث فى اليوم التالى تمرد الحرس القيصرى، وكانت هذه الثورة ثورة قام بها الروس ضد الجوع والشقاء الذى انتابهم، كما استعادوا إلى أذهان الناس الخسائر الهائلة التى حاقت بجيوشهم، والأربعة الملايين من القتلى والجرحى، واختلاس أموال الدولة، وسوء توزيع موارد البلاد ومنتجاتها، والشكوك القوية التى خامرت النفوس بأن القيصر تعاون مع الألمان خفية تحت تأثير "راسبوتين" الخليع الفاجر، وأخيراً حينما تذكروا طرق القمع ارجعية التى استخدمها "بروبوبوف" وزير الداخلية، وآخر مشيرى القيصر وأقلهم فطنة وحصافة. وكان أعضاء مجلس الدوما قد رفضوا قبيل تنازل القيصر إطاعة أوامره بالانفضاض وانتخبوا فى ١٤ مارس حكومة وقتية برئاسة الأمير " لفوف" تضم أغلبية الحزب الديمقراطى الدستورى، وقد حاولت هذه الحكومة أن تحكم البلاد ، وتدير دفة الحرب بعد سقوط القيصر .

☒ نهاية الحرب

فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها بعد أربع سنوات وربعاً، قتل فيها أكثر من ثمانية ملايين فرداً، كما مات أكثر من عشرون أو خمسة وعشرون مليوناً آخرين بسبب المصاعب والفوضى، وقاسى عشرات الملايين مما ألم بهم من ضعف بسبب سوء التغذية والشقاء، كان طلب الصلح على أساس شروط الرئيس الأمريكى ويلسون التى كان أعلنها كدستور للتسوية وعرفت باسمه مبادئ ويلسون الأربعة عشر، وكان أهمها هو مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

الفصل التاسع

مؤتمرات الصلح واتفاقيات السلام

١- مؤتمر الصلح واتفاقية السلام

افتتح المؤتمر فى يناير ١٩١٩ فى باريس برئاسة "كليمنصو" رئيس وزراء فرنسا للاتفاق على شروط الصلح، وقد حضر المؤتمر مندوبو الدول التى حاربت فى صفوف الحلفاء، كما حضره مندوبون من الأمم والشعوب التى وعدت بالحرية والاستقلال مثل: البولنديين والعرب واليهود. وقد بدأ المؤتمر جلساته فى ١٨ يناير ١٩١٩، ووقعت معاهدة فرساى مع ألمانيا فى ٢٨ يونيو، وكانت آخر جلسة للمؤتمر فى ٢١ يناير ١٩٢٠، وكان أشهر أعضاء المؤتمر مندوبو الدول الكبرى، حيث كان لكل منهم وجهة نظر، وأشهر الشخصيات هذه : جورج كليمنصو الفرنسى، لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا، ويلسون الرئيس الأمريكى،أورلندو رئيس وزراء إيطاليا.

وفعلاً وقعت معاهدة الصلح فى صالة "المرايا" فى قصر "فرساى" فى ٢٨ يونيه ١٩١٩، واكتظت حدائق القصر بجمهور الناس ليلقوا نظرة على أقطاب السياسة الذين استعذبوا إذلال ألمانيا ، حتى لا تقوم لها فى المستقبل قائمة أما عن شروط التسوية فكانت كالتالى؛ بموجب معاهدة فرساى استعادت فرنسا الإلزاس واللورين، وبالتالى حصلت على ثلاث أرباع إنتاج ألمانيا من الحديد، كما حصلت على استغلال الفحم فى أقليم السار لمدة خمسة عشر عاماً على أن يوضع هذا الإقليم تحت إدارة عصبة الأمم أثناء هذه الفترة، وأن يتحدد مصير تبعته باستفتاء عام يجرى فى عام ١٩٣٥، وقد جاء الاستفتاء الذى أجرى فى تلك السنة لصالح ألمانيا، لأن واحداً فى المائة من سكان إقليم السار من غير الألمان، كما تم الاتفاق على تجريد منطقة الراين إلى عمق خمسين كم من السلاح٠ أن رغبة إنجلترا والولايات المتحدة كانتا تعارضان المخططات الفرنسية التى تهدف إلى الانتقام من ألمانيا، بفصل أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين عن ألمانيا ويجعلها تكون تحت إشراف عصبة الأمم ، ولكن تخضع لاحتلال عسكرى مشترك من جانب الحلفاء، وهذا

الحل وإن كان يضمن أمن فرنسا ، إلا أنه يتعارض مع مبادئ ويلسون، لذا رفضته كل من بريطانيا والولايات المتحدة، لأنه سيدفع ألمانيا إلى أن تفقد الأمل وتلقى بنفسها فى أحضان روسيا، ولكن لويد جورج اقترح إبدال هذا الضمان الإقليمى بضمان عسكرى ودبلوماسى، فألمانيا التى سينقص عدد قوات جيشها إلى ١٠٠,٠٠٠ جندى، ستحرم من الطيران ومن الدبابات ومن المدفعية الثقيلة ، وستحرم من حق وضع قوات أو إنشاء تحصينات فى أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين

٢- معاهدة سان جرمان مع النمسا

عُقدت مع النمسا في ١٠ سبتمبر ١٩١٩م، وبها انكمشت إمبراطورية النمسا، وتحولت إلى جمهورية صغيرة، وكذلك استقلال المجر فأصبحت جمهورية مستقلة، تكونت يوغسلافيا من صقالبة الجنوب (البوسنة والهرسك وساحل دلماشيا) والصرب. في الوقت الذي تكونت فيه تشيكسلوفاكيا من صقالبة الشمال (بوهيميا، مورافيا، سيليزيا)..الخ.

٣- معاهدة نويلي (نويي)

تفقدت بلغاريا بموجبها سواحلها على بحر ايجه الذي ضُم لليونان كما عُدلت حدودها الغربية لصالح يوغسلافيا.

٤- معاهدة تريانون مع المجر

وقعت المعاهدة فى " قصر تريانون" الكبير القريب من حدائق فرساى. ولقد وقعت مع المجر في ٤ يونيو ١٩٢٠، وترتب عليها أن فقدت المجر حوالي نصف مساحتها، وضمت رومانيا إقليم ترانسلفانيا الغني بمناجمه.

٥- معاهدة سيفر

عُقدت مع تركيا في ١٠ أغسطس ١٩٢٠م؛ فقد الأتراك بموجبها إمبراطوريتهم في أوربا ما عدا القسطنطينية وشاطئ بحر مرمرة، وشبه جزيرة غاليبولي، كما فقدوا ممتلكاتهم في آسيا، واستقلت الحجاز ووضعت سوريا وفلسطين والعراق تحت الانتداب، وعُهِد إلى

اليونان بإدارة إقليم أزمير لمدة خمس سنوات. لكن قيام مصطفي كمال أتاتورك بحركته وتجدد الحرب بين الأتراك واليونان حال دون تنفيذ تلك المعاهدة.

٦- معاهدة لوزان

عُقِدت في يونيو ١٩٢٣م وبموجبها تم تعديل حدود تركيا الأوربية، مع احتفاظ تركيا ببعض جزر الدردنيل، وتنازلت تركيا عن حقوقها في مصر وليبيا والسودان، وعن جزر بحر إيجة لإيطاليا واليونان، وعن قبرص لبريطانيا.

الفصل العاشر

أوروبا بين الحربين

في الوقت الذي سقطت فيه معظم عروش القارة الأوروبية عقب الحرب العالمية الأولى، زادت الملكية في بريطانيا قوة وتمكناً في نفوس الشعب البريطاني؛ حيث أن ملك بريطانيا يتمتّع بمركز سامي يستمدّه من الإمبراطورية التي هو رمزها ونقطة الاتصال بين أجزائها، وقد وضحت المكانة التي يشغلها العرش في عام ١٩٣٥م عندما احتفل الشعب بمرور خمسة وعشرين عاماً على تتويج الملك "جورج الخامس (١٩١٠-١٩٣٦)م؛ ذلك الاحتفال الذي أظهر البساطة والروح القوية التي تمتّع بها الملك وزوجته "الملكة ماري"، غير أن تلك المكانة قد تعّرضت لصدمة غير مسبوقة في العام التالي مباشرة بعد وفاة جورج الخامس حيث حاول ابنه الملك الجديد "إدوارد الثامن الزواج من أمريكية مطلقة تدعى مدام "واليس سيمبسون، محدثاً بذلك أزمة دستورية زعزعت عرش الإمبراطورية البريطانية وأثارت عاصفة من التساؤلات عن حقوق الملك وواجباته في ظلّ دستور غير مكتوب.

وُلِد "إدوارد ألبرت كرستيان جورج أندرو باتريك ديفيد في ٢٣ يونيه عام ١٨٩٤م، وعُرِف بين أسرته باسم "ديفيد". كان إدوارد يتمتع بجاذبية ظاهرية منذ طفولته، غير أنه قد أثبت منذ صغره تمرده على الموروث الملكي الذي كان يملي عليه كل تصرفاته؛ فكان إدوارد يعترض على ارتداء الملابس الرسمية والالتزام بالتقاليد الملكية حتى أنه تذّمر ذات مرة وهو في سن العاشرة قائلاً : " كنت أتمنى لو لم أكن أميراً". لم يكن من الغريب أن يكبر إدوارد ليصبح كارهاً لقيود الملكية غير مكترثاً بواجباته والتزاماته كولّي للعهد؛ حيث اعتاد في شبابه حضور الحفلات الراقصة في الملاهي الليلية وفي بيوت أصدقائه، فضلاً عن شغفه بالصيد وسباق الخيل، مما لفت أنظار العامة إلى ولّي العهد الذي يتصرف بطيش وحرية لم يعتادها الشعب الانجليزي المحافظ. وعلى الرغم من ذلك ازدادت شعبية الأمير إدوارد عندما رأى الجميع اهتمامه البالغ بشئون الدولة أثناء الحرب العالمية الأولى حيث طلب بإلحاح شديد المشاركة في صفوف القتال، إلا أنّ ذلك لم يكن مسموحاً لولّي عهد

بريطانيا؛ ليس خوفاً على حياته فحسب، بل أيضاً خوفاً من أن يُؤخذ أسيراً فيكون بذلك ورقة ضغط رابحة لدى الأعداء. ونزولاً على رغبة الأمير الشاب تم تكليفه ببعض المهام الإدارية التي نجح في آلية تنفيذها بدقة، هذا بالإضافة إلى حرصه على زيارة جرحى الحرب للتخفيف عنهم. بالأخذ في الاعتبار العديد من تصرفات إدوارد الطائشة قد تكون رغبته الشديدة في المشاركة في الحرب درباً من التهور والرغبة في تجربة كل ماهو ممنوع، وليست بالضرورة برهاناً على وطنيته وانشغاله بهموم دولته.

بينما كان جورج الخامس في فراش الموت، قام ولي العهد إدوارد بإلغاء توقيت "ساندرينجهام" الذي كان معمولاً به في بريطانيا منذ عام ١٩٠١م؛ فكانت هذه بداية غير موفقة لولّي العهد الشاب الذي استفز رجال الحكم ولفت نظرهم مبكراً لطبيعته المتمردة الكارهة للتقاليد الملكية. يجدر الذكر أن رئيس الوزراء "ستانلي بولدوين " كان حينها في سنّ السبعين ووزير المالية "تيڤيل تشامبرلين" في أواخر الستينات، بينما كان إدوارد الثامن في الأربعين من عمره، لم تكن تلك الفجوة بين الأجيال في صالح الملك الشاب الذي لم يلق الحماس المتوقع من رجال الدولة بسبب صغر سنّه وعلاقاته غير اللائقة مع العديد من السيدات المتزوجات، لذا رأى رجال الدولة أنه ينبغي على إدوارد أن يلتزم بكل مسئوليات وتقاليد منصبه الجديد كملك لعرش بريطانيا مهما كان كارهاً لتلك التقاليد.

اعتلى إدوارد الثامن العرش في ٢٠ يناير عام ١٩٣٦م وتنازل عنه في ١٠ ديسمبر من نفس العام، ورغم انشغال العالم بأسره بالقضايا الكبرى التي وقعت في هذا العام– مثل غزو إيطاليا لإثيوبيا والحرب الأهلية الإسبانية وازدياد التحركات النازية في أوروبا– إلاّ أن اهتمام الحكومة والشعب البريطاني كان منصّباً على قضية زواج ملكهم الشاب، ورغم أنّ قانون الزواج الملَكي" "Royal Marriages Act" الصادر عام ١٧٧٢م اشترط أن يحصل أفراد الأسرة الملَكيّة على موافقة الملك في حال رغب أحدهم في الزواج، إلا أنه أغفل تحديد مـواصفات وإجراءات زواج الملك نفسه، ممّا ساهم في تصعيد أزمة زواج الملك إدوارد.

ازدادت شعبية إدوارد في بريطانيا والأراضي الخاضعة لها عندما كان ولّياً للعهد، حتى أنه اشتهر باسم "الأمير الساحر" بين الأجيال الشابة التي عقدت آمالاً كبيرة على الملك الشاب

ذو الآراء العصرية، غير أن تولّيه العرش لم يكن على هوى رجال الدولة نظراً لمعرفتهم بشخصيته المتمردة وتصرفاته الطائشة التي لا تتناسب مع مفهومهم التقليدي عن التاج البريطاني، فقد تحدث رئيس الوزراء بولدوين مع زعيم المعارضة "كليمنت أتلي في حفل تنصيب الملك عن قلقه تجاه مدى استعداد الملك الشاب للالتزام بسياسة الدولة، فلم يقتنع بولدوين بكفاءة إدوارد لتولي الحكم، كما لم يعجبه جرأة إدوارد في التعبير عن آرائه في القضايا السياسية دون الرجوع لمستشاريه، خاصة فيما يتعلق بتأييده لخلق علاقات ودية بين بريطانيا وألمانيا وهو الأمر الذي تسبب في خلق عداوة شديدة بينه وبين كثير من رجال الدولة. أما عن أعضاء الطبقة الارستقراطية فلم يعجبهم المستوى المنحدر لذوق إدوارد خاصة فيما يتعلق بمرافقة السيدات المتزوجات، حتى أنهم وصفوا قصر باكينجهام بأنه "ملهى ليلي على الطراز الأمريكي".

على الرغم من شعبية الملك إدوارد لأسباب عديدة منها جاذبيته وتواضعه واستعداده لكسب أصدقاء من كافة الطبقات بالإضافة إلى حرصه على تحسين أحوال الشعب، إلّا أنه لم يمتلك التفكير أو المنطق السليم سواء في اختيار أصدقائه أو في تعبيره عن آرائه السياسية، ولم يتعامل مع الملَكّية بنفس التقدير مثل والده جورج الخامس الذي حظي بحب وتقدير الشعب البريطاني كونه تجسيداً لقيم ومبادئ العصر الفيكتوري. ارتبط إدوارد في حياته بثلاث علاقات حب قوية قبل أن يتعرف على الأمريكية واليس سيمبسون.

وُلِدَت "بيسي واليس وارفيلد" في عام ١٨٩٦م في مدينة "بالتيمور" بولاية ميريلاند الأمريكية وكانت تنتمي لعائلة من الطبقة الوسطى. تزوجت واليس للمرة الأولى في الولايات المتحدة، وعندما فشل زواجها ذهبت إلى أوروبا حيث تعرفت على زوجها الثاني "إرنست سيمبسون". قابل إدوارد مدام واليس سيمبسون للمرة الأولى عن طريق عشيقته الثالثة فيرنس التي طلبت من سيمبسون أن تراعي الأمير وتقوم بتسليته أثناء غيابها خارج انجلترا لعدة شهور في ربيع عام ١٩٣٤م؛ ومن هنا نشأت علاقة الحب بين إدوارد ومدام سيمبسون، وعندما اعتلى إدوارد العرش كانت علاقتهما قد توطّدت تماماً.

لم تفهم واليس سيمبسون الإجلال الذي تتمتع به الأسرة المالكة بسبب نشأتها وانتمائها الطبقي، لذلك لم تُعامل إدوارد بالوقار والتقدير الذي اعتاد عليه مما جعله ينجذب

إليها رغم جمالها المتواضع، وازداد ارتباطه بسيمبسون عندما بدأت صداقتهما تتوطد؛ حيث اندهش أصدقائهم في إحدى الحفلات التي كان دائماً ما يقيمها إدوارد حينما ضربته سيمبسون على يده بطريقة مازحة لتوّبخه أمامهم لمجرد أنه تذّوق الطعام دون استخدام شوكة. استغلّت سيمبسون فهمها لشخصية إدوارد الضعيفة وفرضت سيطرتها وذوقها الشخصي على استراحته المفضلة في "فورت بيلفيدير فقامت بطرد بعض الخدم وأعادت ترتيب المنزل بالكامل، بل تجرأت سيمبسون ذات مرة في إحدى حفلات إدوارد في "قلعة بالمورال" باسكتلندا وسارعت لتستقبل أخيه "ألبرت دوق يورك" الذي سيخلف إدوارد لاحقاً ليصبح "الملك جورج السادس" – وزوجته "إليزابيث" فور وصولهما وكأنها سيدة المنزل، مما أغضبهما كثيراً، حتى أن ألبرت قال أنه قد "خسر صديقه الأقرب بوفاة والده الملك جورج الخامس والآن هو على وشك خسارة صديقه الآخر"، مشيراً إلى إدوارد الذي تمادى في منح سيمبسون صلاحيات ليست من حقها. يجدر الذكر هنا أن دعوة إدوارد لسيمبسون للإقامة في قلعة بالمورال أثار غضب الأسرة المالكة والمجتمع الانجليزي بأسره نظراً للأهمية التاريخية التي حظيت بها بالمورال حيث أنها كانت الاستراحة الخاصة للملكة فيكتوريا ومن بعدها الملكة ماري– والدة الملك إدوارد–؛ لاشك أن تقديس المجتمع البريطاني للعائلة الملكية لم يكن في صالح سيمبسون على الإطلاق حيث جعلها ذلك دائماً في وجهة نظر الجميع منبوذة لأنها لا تنتمي لتلك الطبقة.

اشتهر إدوارد الثامن منذ فترة إمارته لويلز باهتمامته الاجتماعية وميوله إلى الاختلاط مع العوام، ولكنه فشل تماماً في كسب أيّ أصدقاء في عالم السياسة، وهو ما جعل موقفه ضعيفاً إذ لم يجد له حليفاً قوياً يسانده في دفاعه عن قضيته ضدّ الحكومة. ربما لم يكن إدوارد بالفعل الملك المناسب لعرش بريطانيا في تلك الفترة من تاريخ أوروبا حيث أظهر في مواقف عديدة حبه لذاته وحرصه على تحقيق رغباته الشخصية دون الوضع في الاعتبار المصلحة العامة لبريطانيا.

لاشك أنه في هذا الوقت العصيب من تاريخ بريطانيا شعر الشعب الانجليزي أن المؤسسة الملكية قد خذلته، فكيف للملك الذي طالما حظي بمكانة مقدسة لدى الشعب أن يتخلى عن شعبه من أجل امرأة؟ ربما شعر الشعب البريطاني بالحزن لرحيل إدوارد أو

التعاطف معه أحياناً، لكن ليس هناك شك أن الإحساس الأقوى هو الغضب واللامبالاة ليس فقط تجاه إدوارد، بل تجاه مفهوم العرش ذاته. لذا حرصت الحكومة الانجليزية على التخفيف من حدة الأزمة والآثار المترتبة عليها من خلال رسم صورة مزيفة أمام العالم بأسره حتى توحي بأن ما حدث لم يؤثر على هيبة واحترام المؤسّسة الملكّية.

اتّسم موقف رئيس الوزراء ستانلي بولدوين منذ بداية الأزمة بالعدوانية تجاه إدوارد وبالحماس الشديد للملكية البريطانية، فلم يظهر أي تعاطف مع الملك ولم يتكبد عناء محاولة إقناعه بالرجوع عن قراره، بل سارع في حشد الآراء ضده وكأنه عدو لدود، ولكن ربما كان هجوم رئيس الوزراء على الملك إدوارد وإصراره أن يحسم الأمر في أقل وقت من أهم إنجازات بولدوين السياسية خاصة فيما يتعلّق بموقف بريطانيا الدولي حيث كانت الحكومة قلقة جداً تجاه أية رد فعل قد يضر بمصالح بريطانيا. على الجانب الآخر، لم تستغرق خلافات الملك مع الحكومة إلا بضعة أسابيع قرر بعدها التنازل عن العرش؛ فلم يحارب إدوارد طويلاً من أجل الحفاظ على عرشه كما لم يظهر أي حنكة في التعامل مع الأزمة، وهو ما أثار استياء وغضب الكثير ممّن حوله من العائلة الملكية والحكومة حيث أنهم رأوا مدى تهاون الملك في الحفاظ على عرش بريطانيا وهو ما أكّد على ضعف شخصيته كحاكم لإمبراطورية مترامية الأطراف. بل لعل البعض عقد مقارنة بسيطة بين إدوارد الثامن أحد أفراد "أسرة وندسور"، وبين الملكة إليزابيث الأولى إحدى ملوك "أسرة التيودور" ؛ تلك المقارنة التي بيّنت أنه في الوقت الذي رفضت فيه الملكة إليزابيث الأولى الزواج من أجل الحفاظ على عرش بريطانيا، وجدوا أنفسهم أمام ملك يترك العرش ذاته من أجل إمرأة.

☒ موقف بريطانيا من أطفال يهود ألمانيا

عرف هذا الموقف في تاريخ بريطانيا باسم "كيندرترانسبورت" وهو مصطلح ألماني يشير إلى عمليات نقل أطفال اليهود بالقطار في الفترة من ديسمبر عام ١٩٣٨م وحتى أغسطس عام ١٩٣٩م. يهدف البحث إلى دراسة جهود المنظمات الخيرية البريطانية في إنقاذ الأطفال اليهود المتضررين من حكم النازية عن طريق نقلهم من ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا إلى بريطانيا. ينتقد البحث سياسة الحكومة البريطانية تجاه اللّاجئين

حيث اشترطت ألّا تُشارك الحكومة في الدعم المالي أو التنظيمي لعمليات نقل اللّاجئين، وأن يدخل الأطفال إلى بريطانيا بمفردهم دون أن يكونوا مصحوبين بذويهم، بالإضافة إلى ضرورة عمل منظّمات اللّاجئين الخيرية على توفير موطن دائم لهؤلاء الأطفال في غضون عامين من استقرارهم في بريطانيا، أي أن تكون بريطانيا محطة مؤقتة لهم.

كان نقل الأطفال من ألمانيا إلى بريطانيا تحت رعاية "حركة رعاية أطفال ألمانيا" التي تأسست في نوفمبر ١٩٣٨م بقيادة مشتركة مسيحية ويهودية وتغيّر اسمها في مارس ١٩٣٩م إلى "حركة الأطفال اللاجئين وكان مقرها منزل بلومزبيري في لندن؛ وكان دورها الأساسي هو توفير الأسر المعيلة وتثقيف المجتمع بشأن أنشطة الحركة والإشراف على معسكرات اللاجئين. قامت حركة الأطفال اللاجئين بتشكيل لجان إقليمية في مدن عديدة منها مدينة مانشستر وبيرمنجهام وبريستول وكامبريدج وباترسي، وبحلول سبتمبر ١٩٣٩م كان هناك ١٢ لجنة محلية و٦٥ لجنة قطاع والتي بلغت ١٧٥ لجنة بنهاية الحرب.

يجدر الذكر أن عمليات نقل الأطفال من ألمانيا لم تقتصر على المؤسسات اليهودية فقط، بل كانت هناك مشاركة من مسيحيي بريطانيا خاصة التابعين لجماعات الكويكرز البروتستانتية، حيث أنه مع احتدام الموقف في ألمانيا والنمسا تضاعفت أعداد الجمعيات والمؤسسات الأهلية المسيحية واليهودية وتضافرت جهودها حتى أصبح هناك مركزان أساسيان يديران عمليات الإنقاذ: المركز المسيحي في منزل بلومزبيري والمركز اليهودي في منزل ووبيرن ولكي تتمكن حركة الأطفال اللاجئين من إنقاذ أكبر عدد ممكن من الأطفال في أسرع وقت، لم تنتظر توفير أسرة معيلة لكل طفل، بل سارعت في إعداد معسكرات مؤقتة لاستقبال الأطفال وتسكينهم بها حتى يتم نقلهم لاحقاً لأماكن أفضل مع أسرهم البديلة.

عملت حركة الأطفال اللاجئين البريطانية مع مكتب هجرة الأطفال في ألمانيا الذي أسّسه مجلس يهود ألمانيا عام ١٩٣٣م وكانت له مكاتب عديدة في برلين؛ وكانت عملية نقل الأطفال تبدأ بإرسال ولي الأمر استمارة طلب تهجير مع صورة شخصية للطفل إلى مكتب هجرة الأطفال في الأقاليم والتي كانت تُرسل بدورها إلى مكتب هجرة الأطفال الرئيس

في برلين، وكانت الاستمارة عبارة عن تفويض من ولي الأمر إلى حركة الأطفال اللاجئين لتولي شئون أطفاله والموافقة على أي خطوة تتخذها اللجنة لصالح الأطفال، في نهاية الاستمارة كان هناك سؤال عن ديانة الطفل حيث كان على ولي الأمر أن يختار ما بين الآتي: "يهودي أورثوذكسي – يهودي ليبرالي – يهودي غير ممارس – بروتستانت – كاثوليكي – كويكر – حُر العقيدة، وكان على ولي الأمر أن يوقع على استمارة تضمن موافقته على تسكين أولاده لدى أي أسرة مهما كانت عقيدتها، حيث واجهت الحركة في بدايتها مشكلة في تسكين الأطفال، إذ كان أغلب الآباء يصرون على إيداع أبنائهم لدى أسر يهودية حتى يضمنوا لهم المعاملة العادلة والالتزام بالعادات اليهودية، وبالطبع لم يكن سهلاً على الحركة أن توفر أسر يهودية لاستضافة آلاف الأطفال اللاجئين حيث أن الإقبال من يهود بريطانيا على استضافة الاطفال اللاجئين كان محدوداً جداً مقارنة بإقبال الأسر المسيحية.

بعد قبول طلب الطفل كانت أوراقه تُرسل مع شهادة صحية إلى حركة الأطفال اللاجئين في لندن ومنها إلى مكتب وزارة الداخلية لإصدار تصريح دخول رسمي نصه كالتالي: "تم إصدار وثيقة الهوية هذه بموافقة حكومة جلالة ملك بريطانيا للسماح للأطفال بالدخول إلى المملكة المتحدة بغرض التعليم تحت رعاية لجنة المساعدة الداخلية للأطفال، ولا تحتاج هذه الوثيقة لتأشيرة دخول"فيزا". بعدها كانت تصريحات الدخول تُرسل بالبريد الجوي إلى ألمانيا وتُسلم للشرطة الألمانية أوّلاً ثّم إلى منظمات الهجرة لتقوم بتوزيعها على الأطفال.

أما اختيار الأطفال فكان يعتمد بشكل أساسي على مدى خطورة وجودهم في ألمانيا؛ وعليه كانت الأولوية للأيتام، حتى أن بعض الآباء كانوا يتركون أبنائهم على عتبات الملاجيء لمنحهم فرصة أكبر لنقلهم ضمن عمليات كندرترانسبورت؛ ثم يأتي بعدهم الأطفال الذين فقدوا آبا ئهم في أحد معسكرات الاعتقال أو المراهقين ممّن كانوا هم أنفسهم في حالة إطلاق سراح مشروط برحيلهم عن ألمانيا في أسرع وقت. يجدر الذكر أن حركة الأطفال اللاجئين حرصت في اختيارها للأطفال على مراعاة المجتمع الانجليزي، بمعنى أنها كانت تميل إلى اختيار الأطفال الأكثر قبولاً ولياقةً لضمان اندماجهم في المجتمع الانجليزي

دون إثارة نفور أو كراهية الأسر المضيفة، وفي سبيل إعداد الأطفال للرحيل كان ولّي الأمر يقوم بتعليم ابنه أو ابنته اللغة الانجليزية لضمان قدرتهم على التعبير عن أنفسهم أثناء إقامتهم في بريطانيا، بالإضافة إلى تعليمهم بعض المهارات التي قد تمكنهم من الحصول على حرفة ما إذا لزم الأمر؛ حيث سمحت الحكومة البريطانية للأولاد بالعمل في الزراعة والصناعة وللفتيات بالعمل في الخدمة المنزلية. كما كانت هناك تنبيهات على الأطفال من آبائهم ومن مُنظمي حركة الأطفال اللاجئين بأن يلتزموا بحُسن التصرف والظهور بشكل محبوب ولائق، والأهم من ذلك أن الحركة حرصت على إجراء الكشف الطبي على الأطفال للتأكد من عدم قبول أي طفل ذي احتياجات خاصة وذلك لصعوبة توفير أسرة معيلة له.

كان هناك فئتان من الأطفال اللاجئين: أحدهما مكفول من أسرة محددة، والآخر غير مكفول.فكان الطفل المكفول مسبقاً بالطبع أفضل حالاً من غير المكفول، حيث كانت هناك أسرة في انتظاره في بريطانيا تم الاتفاق معها مسبقاً من بين أصدقاء أو أقارب الطفل، أو ممن تطوعوا لاستضافة الطفل استجابة لإحدى إعلانات الصحف، وكانت الأسرة المضيفة تتولى رعاية الطفل وتعليمه حتى يبلغ سن الثامنة عشر، أما الطفل غير المكفول فكان يودع في معسكرات أو ملاجئ مؤقتة حتى يُعثر له على كفيل إذا توفّر، ولا شك أنّه كان هناك فرق شاسع بين الطفل المكفول وغير المكفول حيث كان الأول يعلم أن هناك أسرة محبة تنتظره وعلى استعداد لتحمل مسئوليته، أما الآخر فكان عليه أن يتحمّل الضغوط النفسية المتوقعة نتيجة لفراق أبويه وأصدقائه، بالإضافة إلى قلقه البالغ بسبب انقطاعه عن دراسته وانتظاره فترات طويلة للانتقال مع أسرة معيلة وبدء حياة مستقرة.

من الأسباب التي ميزت حركة كيندرترانسبورت عن غيرها من المحاولات العديدة لمساعدة اللاجئين هو سرعة التنظيم وكبر حجم العملية التي وصفت بأنها أكبر حركة بريطانية موجهة لإنقاذ فئة محددة من أي مجتمع؛ ويجدر الذكر أنها لم تكن تلك العملية الأولى لدخول لاجئين من دول متضررة إلى بريطانيا، فقد استقبلت بريطانيا لاجئين في أغسطس ١٩٣٦م أثناء الحرب الأهلية الأسبانية، واستقبلت أطفال لاجئين من بلجيكا أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكن ما جعل حركة كيندرترانسبورت مميزة عن غيرها هو

السرعة المتناهية في نقل الأطفال بمجرد صدور القرار في أواخر نوفمبر ١٩٣٨م وحتى بدء عملية النقل الأولى التي تمت في الثاني من ديسمبر ١٩٣٨م. تمكّنت حركة كيندرترانسبورت بنهايتها من إنقاذ ١٠٠٠ طفل تقريباً شهرياً في مجموعات مقسمة إلى بضع المئات من الأطفال الذين تراوحت أعمارهم بين ثلاثة شهور وحتى سبعة عشر سنة[1]. ويجدر الذكر أنه أثناء العشرة أشُهر التي شهدت جهود حركة الأطفال اللاجئين كانت هناك عمليات إنقاذ من جهات خيرية مختلفة نجحت جميعها في نقل ٩٣٥٤ طفل منهم ٧٤٨٢ طفل يهودي أي بنسبة ٨٠% من إجمالي من دخلوا بريطانيا، بالإضافة إلى ٤٣١ طفل تم نقلهم قبل أحداث "ليلة الكرستالناخت" عن طريق لجنة المساعدات الداخلية، و٧٠٠ آخرين تم نقلهم عن طريق مؤسسة "شباب عالية" و١٠٠ آخرين تم نقلهم عن طريق "اتحاد التجمعات اليهودية الأورثوذكسية" " ، وبذلك تخطى العدد الذي تم إنقاذه في تلك الفترة ١٠ آلاف طفل بتكلفة قدرها مجلس يهود ألمانيا بحوالي ٢٩٠ ألف جنيه استرليني.

رغم أن الحكومة البريطانية وافقت على دخول أطفال اليهود المتضررين من النظام النازي فقط من أجل تهدئة الرأي العام، كما أنها لم تساهم على الإطلاق في تنظيم أو إدارة أو تمويل عمليات النقل، إلا أنها بمجرد الموافقة قد ساهمت في إنقاذ ما يزيد عن عشرة آلاف طفل لم يكن لهم ملجأ حيث أُغلقت أمامهم الأبواب، ولكن ما يستحق التقدير هو السماح للمنظمات اليهودية الخيرية بتوفير التعليم الديني والخدمات المختلفة التي هوّنت الأمر على الأطفال، ناهيك عن حرص بريطانيا على إخلاء الأطفال اللاجئين مع الأطفال الانجليز في وقت الحرب عندما خشيت من هجوم ألماني على المدن الكبرى؛ فلم تتركهم دون حماية أو ملجأ لأنهم ليسوا انجليز. ورغم أن اتجاه بريطانيا لسياسة الاعتقال الشاملة أثناء الحرب اُنتُقِد كثيراً، إلا أنه كان إجراءًوقائياً لا مفّر منه، ولا بد أن يؤخذ في الاعتبار هنا المعاملة التي كان لا بأس بها في معسكرات الاعتقال والتي سمحت للكثير من الأطفال والبالغين استكمال تعليمهم بجهود المنظمات اليهودية الانجليزية.

الفصل الحادي عشر

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)م

عندما بدأت مطامع ألمانيا تظهر فى تشيكسلوفاكيا أكد رئيس الوزراء تشمبرلين بمجلس العموم فى ٥ مارس ١٩٣٩م "إن غالبية الشعب البريطانى مقتنع بوجوب التقيد بسياسة الحفاظ على السلام، أما الآن فلا يسعنى إلا أن أشارك هذا الشعب خيبة أمله"، وفى ١١ مارس قدمت الحكومة لمجلس العموم كتابها الأبيض الخاص ببرنامج الدفاع باستئناف التسلح، لحمايتها ضد العدوان المحتمل، وفى ٣٠ مارس وبعد توغل الألمان فى تشيكسلوفاكيا أكد تشمبرلين فى مجلس العموم:" فى حالة وجود أى اعتداء على بولندا، فإن حكومتنا مضطرة لمساعدتها بكل ما فى وسعها"، وهو ما أكد عليه أيضًا فى ٣١ مارس.

بتحرك الجيش الألمانى لبولندا فى سبتمبر ١٩٣٩م بدأت أعظم حرب دموية فى تاريخ العالم وأوسعها نطاقًا وأشدها تدميرًا، وكانت مشاركة دول العالم فى حلفين كبيرين؛ دول الحلفاء: وعلى رأسها (بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتى، ... إلخ) ودول المحور: وعلى رأسها (ألمانيا، إيطاليا، اليابان، ...إلخ)، ففى اليوم التالى للاعتداء الألمانى طرح أحد أعضاء مجلس العموم مشروع قانون يقضى بحق الحكومة فى تجنيد كل الذكور الأصحّاء ما بين سنّ (١٨-٤٠) عامًا إذا احتاجت بريطانيا لذلك، فأرسلت الحكومة البريطانية تلغرافًا إلى وزارة الخارجية الألمانية مؤكدة أنه فى حالة استمرار العدوان سنضطر للتدخل، وعليه ففى ٣ سبتمبر أعلن رئيس الوزراء البريطانى أنه بدءًا من اليوم تُعدّ بريطانيا فى حالة حرب مع ألمانيا، وقد أيد حزب العمال الحكومة حين أعلن زعيم الحزب آرثر جرينود فى البرلمان أن حزب العمال يساند بكل قوته تصرفات الحكومة ضد ألمانيا.

وفى أعقاب غزو الألمان هولندا وبلجيكا استقال تشمبرلين، وحل محله تشرشل الذى تحدث بمجلس العموم:" ليس لدى ما أقدمه سوى الدم والعمل والعرق للنصر على الإرهاب" ، فأرسلت بريطانيا تلغرافًا للرئيس روزفلت توضح حاجتها المُلحّة للأسلحة الجوية،

ومنذ بداية عام ١٩٤١م كثُر الحديث داخل البرلمان البريطانى عن مشروع " قانون الإعارة والتأجير" الأمريكى – سوف يذكر لاحقًا–، ما بين مؤيد ومعارض لها حتى طلب أحد أعضاء البرلمان ألا يتم توقيع أى عقود بموجب هذا القانون مع الولايات المتحدة إلا بالرجوع إلى البرلمان، وقد رفض مجلس وزارة الحرب هذا الطلب حيث إنه يعارض صلاحيات الهيئة التنفيذية المتعلقة بعقد المعاهدات، وفى ١٨ يونيو تحدث تشرشل بمجلس العموم وقال:" إذا خسرنا المعركة فإن العالم بأسره بما فيه الولايات المتحدة سيغرق فى بحر من الظلمات وسيصبح العالم أكثر شراسة ويتأخر عن ركب الحضارة والعلم، لذلك دعونا نعد أنفسنا لنقوم بواجبنا".

فى ١٥ أغسطس ١٩٤٥م قام تشرشل بإلقاء بيان استسلام اليابان، ودعا كل من رئيس مجلس العموم والأعضاء للحضور إلى كنيسة سانت مارجاريت" لتقديم الشكر للرب الذى أنهى الحرب المريرة، وبعد ذلك قرأ رئيس المجلس خطاب الملك الذى أكد فيه: " أن استسلام اليابان أنهى حرب دامت ست سنوات وسببت خسائر للعالم كله، سيتابع وزرائى العمل بجهد، وسيطرح الملك على البرلمان قريبًا طلب لميزانية خاصة بتعمير ما دمرته الحرب.

أما فى الولايات المتحدة فقد احتفظ روزفلت خلال الحرب بعلاقات طابعها الإنسجام مع الكونجرس، فبسبب التوتر على الساحة الأوروبية قدم روزفلت فى يناير ١٩٣٩م ميزانية ضخمة لزيادة التسليح، ثم طالب روزفلت فى ٢١ سبتمبر ١٩٣٩م من الكونجرس تعديل قانون الحياد، وقد رحب العديد من أعضاء الكونجرس برفع حظر بيع الأسلحة لأن ذلك يتمشى مع مصالح الولايات المتحدة المستقبلية إلا أنه لقى معارضة من أصحاب سياسة العزلة الذين يرون أن ذلك من شأنه أن يدخل البلاد فى حرب أوربية، وفى ٣ نوفمبر ألغى الكونجرس حظر بيع الأسلحة، وسن قانون "الدفع والحمل" " Cash & Carry" سُمِحَ فيه للدول المتحاربة أن تبتاع نقدًا من الأمريكيين ما تحتاج من أسلحة بشرط ألا تنقل على بواخر أمريكية.

وفى ٣ سبتمبر ١٩٤٠م أعلنت الحكومة الأمريكية أمام الكونجرس عن اتفاق مع الحكومة الإنجليزية تتنازل فيه لبريطانيا عن خمسين مدمرة عسكرية مقابل إنشاء قواعد

بحرية وجوية فى نيوفوندلاند وبرمودا وبهاما، وفى ١٦ سبتمبر ١٩٤٠م أقر الكونغرس أول تجنيد إجبارى زمن السلم فى التاريخ الأمريكى، وتم إقرار القانون بفارق صوت واحد فقط.

طالب روزفلت فى ٦ يناير ١٩٤١م الكونجرس بالموافقة على ما سُمى بمشروع " قانون الإعارة والتأجير"، ومن أجل الأمن القومى الأمريكى صوت الكونجرس فى ١١ مارس بالموافقة على هذا القانون والذى سمح للرئيس ببيع أو نقل أو إعارة أو منح أى سلاح دفاعى لأية أمة، شريطة أن يقوم فقط باستشارة أركان حرب الجيش والبحرية، وفى ١٦ مايو وافق الكونجرس على طلب الرئيس روزفلت والخاص بضرورة الاستعداد العسكرى وزيادة الميزانية اللازمة لتسليح الجيش، بل وأجاز الكونجرس فى ٢٢ مايو " قانون الطوارئ" الذى أعطى الحكومة سلطة تجنيد أى شخص لأداء أى عمل تستلزمه مصلحة البلاد. فى ٧ ديسمبر ١٩٤١م أعلن الرئيس روزفلت بالكونجرس:" أن السابع من ديسمبر تاريخ سيبقى شائنًا، فهذا العمل الفظيع الذى قامت به اليابان لا نقدر أن نسكت عليه أو نتحمله أو ننساه مدى الحياة، والذى زاد من هذه الوقاحة إعلان ألمانيا وإيطاليا الحرب علينا، لذلك أطلب من أعضاء الكونجرس الموافقة على اقتراح الرئاسة بإعلان الحرب"، فوافق مجلس الشيوخ بالإجماع على إعلان الحرب، أما مجلس النواب فلم يعارض سوى عضو واحد وهو النائبة "جانيت رانكين"، وبعد ساعة وُقِعَ مرسوم الحرب وأُرسِل إلى البيت الأبيض فوقعه روزفلت وهو ما أشعر الألمان بضآلة أملهم فى النصر النهائى.

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية عُقِدت عدة مؤتمرات كان أهمها مؤتمر طهران ١٩٤٣م والذى أشار تشرشل إلى أهميته فى مجلس العموم قائلًا:" أن مؤتمر طهران هو أعظم تركيز للسلطة رآه العالم لأن الشخصيات التى حضرته تمسك بين يديها سعادة البشرية المقبلة"، حيث إن هذا المؤتمر وضع الخطط لإنهاء الحرب وإعادة تنظيم أوربا بما فى ذلك تقسيم ألمانيا، هذا فى الوقت الذى أشار روزفلت فى خطابه أمام الكونجرس الذى ألقاه لدى عودته من مؤتمر طهران فقد قال: " إن بريطانيا والاتحاد السوفيتى وأمريكا والصين يمثلوا ثلاثة أرباع سكان الأرض، إنه إذا اتحدت هذه الدول فإنها تستطيع منع قيام أى حرب جديدة"، وفى فبراير من نفس العام كان ثانى هذه المؤتمرات هو مؤتمر

يالتا وفيه اتفق رؤساء كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى على الصورة النهائية للأمم المتحدة، وعلى للتسوية السياسية لأوربا والشرق الأقصى، كما أيدوا مبادئ مؤتمر طهران والتأكيد على تقسيم ألمانيا دون قيد ولا شرط، كما قرروا سرًا التزام السوفيت بدخول الحرب ضد اليابان، وأكدوا على ضرورة محاكمة جميع الألمان لمسئوليتهم عن الحرب العالمية الثانية، وقد أخبر روزفلت الرئيس الأمريكى رئيس الوزراء البريطانى تشرشل أن الولايات المتحدة لن تمكث فى أوربا لمدة تتجاوز العامين، بيد أن ما تمخضت عنه الحرب من أوضاع وما أتت به من خريطة جديدة لتوزيع القوى فى ظل نسق دولى عالمى جديد – كلها حتمت على الولايات المتحدة التخلى عن مبدأ العزلة.

ثم يأتى آخر هذه المؤتمرات وأهمها وهو مؤتمر بوتسدام (١٧ يوليو –٢ أغسطس ١٩٤٥م) وعقده كل من الرئيس الأمريكى الجديد ترومان ورئيس الوزراء البريطانى كليمنت آتلى، ورئيس الاتحاد السوفيتى ستالين، وناقش المؤتمر مسألة شكل العالم بعد الحرب، وأكد على قرارات مؤتمر "يالتا" وضرورة تقسيم ألمانيا، ونزع سلاحها وحظر الإنتاج الحربى الألمانى. وأشار عضو مجلس العموم جون هند" أن مؤتمر بوتسدام قرر نزع الأسلحة الألمانية وتسليمها للحلفاء، فى الوقت الذى أكد فيه العضو ج. جيفر أن التهاون فى نزع الأسلحة وغلق المصانع الحربية بعد الحرب الأولى كان سببًا رئيسيًا فى شنّ ألمانيا الحرب الثانية، بينما أوصى اللورد لاثام فى مجلس اللوردات بضرورة الإسراع فى تطبيق بنود مؤتمر بوتسدام حتى لا يسود الجوع والمرض فى العالم، وفى ١٦ أغسطس صرّح تشرشل بمجلس العموم: "لقد تأكدنا من التجربة الأولى للقنبلة الذرية فى صحراء المكسيك، وهو ما يعنى أننا امتلكنا سلاحًا لا يقاوم، وأكّد أيضًا على أنه يجب استشارة بريطانيا فيما يخص استخدام هذه القنبلة، وبناءً عليه اتخذت أنا والرئيس ترومان– بشكل شخصى بعيدًا عن المؤتمر– قرار استخدام القنبلة الذرية".

بعد تدمير مدينة هيروشيما ألقت الطائرات الأمريكية منشورات على الشعب اليابانى: "اخلوا مدنكم، فبسبب رفض زعمائكم الاستسلام أعلن الاتحاد السوفييتى الحرب على بلادكم، وقررنا استخدام القنبلة الذرية، فنطلب منكم أن ينهى إمبراطوركم الحرب، وأكد ترومان أن المعلومات الخاصة بتشغيل القنبلة النووية وتصنيعها ستظل سرًا فى الفترة

الراهنة حتى يتمكن العلماء من تأمين المخاطر التى قد تؤدى إلى التفجير المفاجئ، وفى ١٤ أغسطس ١٩٤٥م أعلنت اليابان استسلامها؛ حيث أصدر إمبراطور اليابان مرسومًا رسميًّا بالموافقة على شروط اتفاقية بوتسدام، وأعلن أنه على استعداد لإصدار الأوامر إلى كل القوات العسكرية بوقف إطلاق النار وتسليم أسلحتهم.

كان من نتائج الحرب العالمية الثانية نشوء العديد من المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فمن الناحية السياسية؛ ظهرت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على أنهما أكبر قوتين في العالم، وبدأت القوى الشيوعية تصبح قوي يحسب لها ألف حساب. أما من الناحية الاقتصادية؛ فقد حدث انهيار اقتصادي لكثير من الدول الأوربية واضطرت أمريكا إلى انقاذ الاقتصاد الأوربي بمشروع "مارشال". ومن الناحية العلمية دفعت هذه الحرب الاختراعات الحديثة والابتكار الانساني إلى الأمام.أما من الناحية الاجتماعية فقد تم فقدان أكثر من ٤٠ مليون نسكة، ناخيك عن الجرحي والمشوهين.

الفصل العاشر

الاتحاد الأوربي في القرن العشرن

كانت تجربة الاتحاد الأوربي هي في الأساس تجربة أوروبية للتكامل الاقتصادي، وكنتيجة للمحاولات المتكررة والمتعاقبة والتضحيات الجسيمة التي قامت بها الدول الأوروبية طيلة مدة تجاوزت الخمسين عاما، كما اتخذت هذه الدول خلال تلك الفترة مسالك عديدة لم يكتب لها النجاح فيها إلا للصيغة التي انتهت بالاتحاد الأوروبي. وإذا عدنا إلى الوراء وجدنا أن فكرة توحيد أوروبا لم تكن بالجديدة في الفكر والخطاب السياسي الأوروبي على مر القرون، حيث تعود هذه الفكرة إلى عصر التنوير في القرن الثامن لتتبلور أكثر مع نهاية الحرب العالمية الأولى عندما كثر الحديث عن بداية انحطاط أوروبا نتيجة للعداء والصراع بين شعوبها.

تجدر الإشارة إلى أنه تم التعرض إلى هذه الفكرة في الفترة الممتدة ما بين الحربين من قبل العديد من السياسيين الأوروبيين لإقامة تعاون مشترك بين الدول الأوروبية عندما دعا الكونت النمساوي "ريتشارد كودنهوف كاليرجي" عام ١٩٢٣م إلى إنشاء الولايات المتحدة الأوروبية على غرار النموذج الأمريكي، ونتيجة لذلك عقد في فيينا عام ١٩٢٦م المؤتمر الأول للاتحاد الأوروبي والذي ضم مندوبي ٢٤ دولة أوروبية، وقد وافق المؤتمر على وضع الخطوط لتنظيم فيدرالي لأوروبا، وبعدها بثلاث سنوات دعا وزير الخارجية الفرنسي "أرستيدبريان" في الخامس من سبتمبر ١٩٢٩م في خطابه أمام عصبة الأمم إلى إقامة اتحاد أوروبي في إطار عصبة الأمم.

من أجل تشجيع التعاون بين الدول الأوربية مع احتفاظها بسيادتها الإقليمية، فردت ست وعشرين حكومة أوروبية على الاقتراح الفرنسي إلا أن صعود الأحزاب القومية في بعض الدول الأوروبية وتفاقم الأزمة الاقتصادية قضى على المشروع الفرنسي، عاد المشروع إلى البحث من جديد بعد نهاية الحرب العالمية الثانية؛ إذ بدأ التفكير في توثيق التعاون الاقتصادي الأوروبي، مما دفع الدول الأوروبية إلى عقد عدة مؤتمرات تدرس من خلالها توثيق العلاقات فيما بينها، كما دعا ونستون تشرشل إلى إنشاء ولايات متحدة لأوربا تبدأ بتعاون ألماني فرنسي، حيث أن هذا الاتحاد سيكون بمثابة العلاج الأمثل لمشكلات القارة. لكي نظهر الاتحاد الأوربي بالشكل الذي هو عليه الآن مر بعدة مراحل كالتالي:

☒ اتحاد البينولوكس:

في ٢٩ أكتوبر ١٩٤٧م عقدت كل من بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج اتفاقاً جمركياً أُلغيت فيه الرسوم الجمركية، بل وفي أول يوليو ١٩٥٠م أزيلت القيود التجارية ووحدت السياسة الجمركية، واتبعت الدول الثلاث سياسية جمركية موحدة نحو العالم الخارجي.

☒ المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي:

تأسست في عام ١٩٤٨م وذلك في أعقاب إعلان "جورج مارشال" وزير خارجية أمريكا عن مشروعه والقائل بضرورة قيام تعاون اقتصادي بين الدول الأوربية، وذلك

لإعادة بناء الاقتصاد الأوربي بعد تدميره إبان الحرب العالمية الثانية، وقامت ١٦ دولة بتوقيع اتفاقية تلك المنظمة، حيث ساعدت المنظمة للوصول إلى أفضل وسيلة لدفع عملية الإنتاج والاستقرار مما ساعد في زيادة نسبة التجارة البينية، وارتفاع الإنتاج الصناعي مما زاد بدوره نسبة الصادرات إلى الدول الأخرى.

وبالموازاة مع ذلك تم التوقيع على معاهدة بروكسل عام ١٩٤٨م بهدف تحقيق التعاون العسكري بين كل من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ، وبسبب تزايد الشكوك والنيات السوفياتية تجاه أوروبا الغربية تم تدعيماً لتعاون العسكري بالتوقيع على معاهدة "حلف شمال الأطلنطي" ١٩٤٩م، والتي ضمت بالإضافة إلى اتفاقية بروكسل عدد أخر من الدول الأوربية بالإضافة إلى أمريكا وكندا، وفي العام نفسه تم إنشاء مجلس أوروبا بغرض حماية حقوق الإنسان والحريات العامة في أوربا.

☒ الجماعة الأوروبية للفحم والصلب:

وكانت في الأساس فكرة "جان مونيه" مفوض التخطيط الفرنسي وراعي الدعوة لتوحيد أوربا ، والتي عُرِفت بخطة "شومان" والت تم توقيعها ١٩٥١م، وقد شملت ٦ دول (فرنسا وألمانيا+ ايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورج). وكان الغرض من هذه الجماعة إنشاء سوق أوربية مشتركة. ولكن لماذا سميت بهذا الاسم؟؟؟

☒ المجموعة الأوروبية للدفاع:

تزامنت مع الفكرة السابقة، فمع تزايد التوتر في العلاقات بين الشرق والغرب واندلاع الحرب الكورية بدأت الولايات المتحدة الأمريكية الضغط على الدول الأوروبية للقبول بفكرة إنشاء جيش ألماني للمساهمة في الدفاع عن المعسكر الغربي وهي فكرة كانت تلقى رفضا من العديد من الدول الأوربية لاسيما فرنسا، وللخروج من هذا الموقف اقترح رئيس الوزراء الفرنسي "رينيهبيلغن" إنشاء جماعة دفاع أوروبية كبديل لاقتراح حلف الأطلنطي تخطيط الصناعات الحربية، وسمحت بإنشاء جيش وطني لألمانيا مع إخضاع القوات الأوروبية لسلطة فوق وطنية حتى لاتـ نفرد ألمانيا بسياستها العسكرية

وتسيطر مفوضية الجماعة، وتم التوقيع عليها في ١٩ مايو ١٩٥٢م، إلا أن الجمعية الوطنية الفرنسية رفضتها في ١٩٥٤م.

☒ معاهدة روما:

على الرغم من أن انهيار "جماعة الدفاع الأوروبية" كانت انتكاسة شديدة، فإن الثقة في الجماعة الأوربية ذاتها كإطار للعلاقات السلمية بين الدول الأعضاء قد نمت، فبتاريخ ٢٥ مارس ١٩٥٧م تم توقيع اتفاقيتي روما من بلجيكا ولوكسمبورج وايطاليا وهولندا وفرنسا وألمانيا، حيث كانت الإتفاقية الأولى: خاصة بإنشاء "جماعة اقتصادية أوروبية"، أما الإتفاقية الثانية خاصة بإنشاء مجموعة أوربية للطاقة النووية. ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن الدول الأوربية اهتمت كثيراً بالأولى وأهملت الثانية.

☒ السوق الأوربية المشتركة:

وهو الاسم الشائع للجماعة الأوروبية التي تكونت بعد التوقيع على معاهدة روما، ومع حلول أول يوليو من العام نفسه نجحت الدول الست الموقعة على المعاهدة على دمج كل من "جماعة الفحم والصلب"، و"الجماعة الإقتصادية الأوروبية" و"جماعة الطاقة الذرية" في منظمة واحدة وهي "الجماعة الأوربية" أو "السوق الأوربية المشتركة". في عام ١٩٧٠ انضمت كل من بريطانيا وأيرلندا والدانمارك. وفي العام التالي انضمت اليونان والتي انضم بعدها بأربع سنوات إسبانيا والبرتغال، وبعدهم بعقدين من الزمن انضمت النمسا والسويد وفنلندا، ويمكن إجمال أهم أهداف السوق الأوربية المشتركة فيما يلي (إلغاء الرسوم الجمركية على الواردات بين الدول الأعضاء، إلغاء القيود الكمية على الصادرات والواردات بين دول السوق، وضع تعريفة جمركية على الواردات من الدول غير الأعضاء، إلغاء العقبات وإزالة العوائق التي تحد من انتقال العمل ورؤساء المال، اتباع سياسة زراعية مشتركة، رسم سياسة مشتركة للنقل، تعميق وتحقيق المناقشة الحرة في السوق المشتركة، تنسيق السياسة النقدية ومعالجة الاختلال في موازين المدفوعات، تحسين أحوال العمال.

☒ "الكتاب الأبيض"

في يناير ١٩٨٥م قامت المفوضية الأوربية بإعداد برنامج متكامل يستهدف خلق السوق الموحدة والذي حدد الإجراءات اللازمة لإلغاء الحواجز المادية والضريبية والتقنية قبل عام ١٩٩٢م، وربط إقامة السوق مع زيادة الأموال المخصصة له. وفي أوائل ديسمبر ١٩٨٥م وافق المجلس الأوربي على اصلاح اتفاقيات المجموعة الأوربية بالبدء في إلغاء مراقبة الأشخاص داخل المجموعة الأوربية إلغاءً طردياً. وفي الأول من يونيو ١٩٨٦م تم توقيع الوثيقة الأوربية للوحدة في "لاهاي"، فأصبح من حق البرلمان الأوربي في سن القوانين المتعلقة بالسوق الداخلية. ويجب أن نلاحظ أنه منذ عام ١٩٧٩م تم إنشاء نظام نقدي أوربي موحد، كما تم وضع وحدة النقد الأوربي " EUC"، وفي الحادي عشر والثاني عشر من فبراير ١٩٨٨م اتفق رؤساء الدول والحكومات على الإصلاحات البنيوية والزراعية وحل مشاكل الإنتاج الزراعي، والتقليل من الفوارق الاجتماعية والإقليمية. ثم في ٢٦ و٢٧ من نفس الشهر- لكن في العام الذي يليه- اتفق المجلس الأوربي على خطوات ملزمة بلا عودة عنها في إيجاد الوحدة الاقتصادية والنقدية لتحقيق تقدم نحو وحدة إقتصادية ومالية للسوق الأوربية.

☒ معاهدة ماستريخت "ماستر":

جاءت كتعديل جوهري لمعاهدة روما، وقد تم التوقيع عليها في اجتماع المجلس الأوربي بمدينة ماستريخت بهولندا في ١١ ديسمبر ١٩٩١م، تم خلالها الاتفاق على تحويل السوق المشتركة من مجموعة اقتصادية إلى وحدة سياسية ذات عملة واحدة وبالتالي فإن معاهدة ماستريخت واتفاقية الوحدة الأوروبية أسفرت عن اتفاق رؤساء وحكومات المجموعة على تكثيف أواصر التعاون بين الشعوب المعنية، فامتدت بنود الاتفاقية لتشمل الجوانب الاقتصادية والمالية والأمنية والسياسة الخارجية، ويمكننا القول بأن اجتماع نتجت عنه اتفاقية الاتحاد الأوروبي، والتي وقع عليها قادة الدول الأوروبية في السابع من فبراير ١٩٩٢م، ثم أصبحت سارية المفعول منذ الأول من نوفمبر من العام التالي.

وقد حددت "اتفاقية ماستريخت" ثلاث مراحل لتحقيق الوحدة الأوروبية الكاملة، وهي:

✶ المرحلة الأولى (١٩٩٠-١٩٩٤)م

والتي تهدف إلى تحرير عمليات الدفع وحركة رؤوس الأموال بين الدول الأعضاء، بالإضافة إلى زيادة التعاون بين الهيئات العامة ومزيد من التطابق في السياسة الاقتصادية والتعاون بين البنوك المركزية والوطنية داخل المجموعة الأوروبية.

✶ المرحلة الثانية (١٩٩٥- ١٩٩٨)م:

تهدف إلى استكمال الإجراءات المتعلقة بالتصديق على اتفاقية السوق الأوروبية المشتركة من قبل جميع الأعضاء، والتخلي عن سد العجز في الموازنات الحكومية عن طريق التعديل، وتقسيم أداء اقتصاديات الدول الأعضاء، والتأكد من استعدادها للدخول في المرحلة التالية.

✶ المرحلة الثالثة (١٩٩٩- ٢٠٠٢)م:

تهدف إلى إنشاء البنك المركزي الأوروبي والذي يقوم برسم السياسة النقدية للسوق الأوروبية، وإصدار العملة الموحدة على أن يبدأ برأس مال قدره ٤ مليار.

ومن خلال هذه المراحل نلاحظ أن التكتل الاقتصادي الأوروبي يتأهب للدخول في استكمال مرحلة الاندماج الاقتصادي الكامل بإقامة الوحدة النقدية الأوروبية، وإقامة البنك الأوربي المركزي ١٩٩٩م، والسعي إلى إصدار العملة الأوربية الواحدة الموحدة اليورو.

لم يكن طريق "معاهدة ماستر" مفروشاً بالورود؛ إذ واجهتها بعض المشاكل والتي أخذت وقتاً للتخلص منها وحلها. وأهم هذه المشكلات:

- رفض شعب الدنمارك للمعاهدة التي تنظم إجراءات الوحدة السياسية والاقتصادية.
- موافقة الشعب الفرنسي على المعاهدة، لكن كانت موافقة أشبه بالرفض، حيث وافق ٥٠,٥% ورفض ٤٩,٥% من الشعب.
- وجود بعض الشعوب وقيادات الدول التي ترفض ذوبان بلادها في أوربا الجديدة.

☒ معاهدة أمستردام ١٩٩٧م:

تلا معاهدة ماستر مؤتمر حكومي دولي آخر تمخض‌عنه معاهدة أمستردام والتي وقعت في الثاني من نوفمبر١٩٩٧م، والتي دخلت حيز التنفيذ ١٩٩٩م، وقد نصت على إنشاء منطقة للأمن والحماية والعدالة فيما تم فيها تسهيل حرية الحركة والانتقال وتعزيز التعاون القضائي والأمني والرقابة على الحدود الخارجية للدول الأعضاء. كما أشارت إلى ضرورة التعاون المشترك في مجال السياسة الخارجية والأمن المشترك. وتوسيع السلطات التشريعية للبرلمان الأوروبي من خلال المشاركة في اتخاذ القرار من المجلس. كما نصت المعاهدة على توقيع بعض العقوبات في حالة حدوث أي مخالفة للمبادئا لأساسية للإتحاد وبخاصة في مجال احترام حقوق الإنسان. وطالبت المعاهدة بتقوية وتدعيم السياسة الاجتماعية للاتحاد الأوربي. ويمكن القول أن هذه المعاهدة الجديدة أتت بعدة قرارات تتلخص في:

- إخضاع أي قرار يرفع الرقابة على الحدود أو باتخاذ الإجراءات موحدة تتعلق بالهجرة واللجوء السياسي للاجتماع في السنوات الخمس القادمة.
- توسيع دور الشرطة الأوروبية لمساعدة الشرطة الوطنية في مواجهة الجريمة المنظمة وتهريب المخدرات والهجرة غير الشرعية.
- التزام الحكومات الأوروبية بالتنسيق لوضع خطط من أجل إيجاد فرص عمل جديدة وتمويل من موازنة الإتحاد بهذا الغرض.
- عدم التمكن من دمج إتحاد أوروبا الغربية في الإتحاد الأوروبي ومع ذلك فالمعاهدة تتيح للإتحاد الطلب من هذه المنظمة بالتدخل للقيام بمهمات إنسانية ومهمات لحفظ السلام وحل الأزمات.
- الإبقاء على تركيبة الإتحاد الأوروبي التي تضم ٢٠ مفوضاً واحد لكل دولة صغيرة واثنين لكل دولة كبرى، وذلك إلى حين توسيع الاتحاد.

☒ معاهدة نيس:

الموقعة في ٢٠٠١م والتي نصت على إصلاحات مؤسسة استباقا للتوسع إلى أوروبا الوسطى والشرقية، وذلك بإرساء إجراءات وأوزان تصويتية جديدة والمزيد من استخدام إجراءات التعاون المفرز.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق المنشورة:

- **وثائق باللغة العربية:**

- **الدستور الفرنسى" الصادر فى ٤ أكتوبر ١٩٥٨ وفقًا لآخر تعديلاته الصادرة فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٨.**
- **رياسة الجمهورية: المملكة المتحدة "النظام السياسى والاقتصادى"، مكتب الرئيس للأبحاث الاقتصادية، القاهرة، بدون تاريخ.**
- **مكتب العمل الدولى بجينيف: النقابات فى الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة؛ مصطفى حسنى، (ب. م)، (ب.ت).**

- **وثائق باللغة الإنجليزية:**

- **The National Archives: Security Matters Relating to the Abdication of HM King Edward VIII, CAB 301/101.**

المذكرات الشخصية:

- مذكرات روميل: جمعها وأعدها للنشر؛ ب. هـ. ليدل هارت، بمعاونة: لوسى ماريا روميل (زوجته)، مانفريد روميل (ابنه)، الجنرال فريتز بايرلاين، تعريب وتعليق؛ فتحى عبدالله النمر، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٦٦
- ونستون تشرشل: مذكرات تشرشل، ج١، منشورات مكتبة المنار، بغداد، بدون تاريخ.

الأبحاث العلمية:

- محمد عبد الوهاب سيد: موقف هتلر من يهود ألمانيا (١٩٣٣- ١٩٣٨)م، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٤٥، ٢٠٠٧.
- محمد سيد إسماعيل(د): الأزمة الدستورية في بريطانيا ١٩٣٦م، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد ٤٦، ج١، ٢٠١٦م.
- _____: موقف بريطانيا من أطفال يهود ألمانيا (ديسمبر ١٩٣٨- أغسطس ١٩٣٩)م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد ٥٣، يناير ٢٠٢٠م.

المراجع العربية:

- إبراهيم درويش (د): القانون الدستورى "النظريات العامة"، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠.
- أحمد جلال بسيونى (د): اختلاق الحرب الباردة، "دور الولايات المتحدة فى تقسيم العالم" (١٩٤٥-١٩٥٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣.
- أحمد محمد لطفى: تاريخ إنجلترا الاقتصادى فى العصر الحديث،ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٤٥.
- أحمد وهبان: العلاقات الأمريكية الأوربية بين التحالف والمصلحة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٥.

- أدموندس ملكا (د): شرح القانون الانجليزى فى ثمانية أجزاء، ط١، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٩٤٥.
- إدوارد تيم و.ج.أ.هاو: الحركة التعاونية فى بريطانيا، ترجمة؛ حسين المسلمانى، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.
- آرثر شليس نفر: ونستون تشرشل، قادة العالم بين الماضى والحاضر "ونستون تشرشل"، بدون مترجم، ط١، دار الرشيد، بيروت، ١٩٩٦.
- أرنست باركر: الديموقراطية الاجتماعية "سلسلة أحاديث شائقة عن الديموقراطية الاجتماعية فى بريطانيا العظمى"، ترجمة؛ حبيب سعيد، دار الشرق والغرب، ١٩٤٩.
- أرنست باركر: الملكية الدستورية فى بريطانيا،ترجمة ونشر؛ وزارة الاستعلامات البريطانية فى الشرق الأوسط، مطبعة جامعة إكسفور، إنجلترا، (ب.ت).
- ـــ: بريطانيا والشعب البريطانى، بدون ترجة، ١٩٤٥.
- ايروق الكسندر: الدستور البريطانى ونظام الحكم فى مجموعة الأمم البريطانية، ترجمة؛ محمد الهمشرى و محمد أبو طائر ومحمد بدران ويوسف الريدى، د.ن، ١٩٤٠.
- برنار غروتويزن: فلسفة الثورة الفرنسية، ترجمة؛ عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
- جلال يحيى (د): أوربا فى العصور الحديثة "منذ الحرب العالمية الأولى" (الفترة المعاصرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨١.
- جورج هـ. سباين: تطور الفكر السياسى، ترجمة؛ على ابراهيم السيد، الكتاب الرابع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
- جون كنيدى (الرئيس الأمريكى): لماذا نامت إنجلترا، ترجمة؛ حسين الحوت، مطابع الدار القومية،١٩٥١.

- أ.ج.ب. تايلور، ج. هـ. لومب، روبرت رودس جايمس، بازيل ليدل هارت، أنطوني ستور: تشيرشل "أربعة وجوه والرجل"، ترجمة؛ حسن فخر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤.
- حافظ عفيفي باشا (د): الانجليز في بلادهم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥.
- هـ. أ. ل. فيشر: تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)م، ترجمة؛ أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع، القاهرة، دار المعارف،
- هاري ويستر: فضائح العائلات المالكة "من سلسلة أخبار غريبة وأسرار عجيبة"، بدون مترجم، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ب.ت.
- جوندولين كارتر، جون هيرز: نظام الحكم والسياسة فى القرن العشرين، ترجمة، ماهر نسيم، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٢.
- حافظ عفيفى باشا (د): الإنجليز فى بلادهم، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٣٥.
- حسن سيد أحمد (د): النظام السياسى للولايات المتحدة وانجلترا، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ ١٩٩٨.
- حسن نافعة (د): معجم النظم السياسية الليبرالية فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ط ١، ١٩٩١.
- دافد وطسن دانى: تاريخ أساس الشرائع الإنكليزية "سنة الإرتقاء فى نظام الحكومة الإنكليزية" (مصدر القوانين الأساسية للحكومات الدستورية)، ترجمة؛ نقولا افندى حداد، المكتبة الشرقية، القاهرة، ١٩٠٦.
- دأنييل ر. براور: العالم فى القرن العشرين "عصر الحروب العالمية والثورات"، ب. ت، مرطز الكتاب الأردنى، ١٩٩٠.
- داود الضاهر: الفجر الدامى أو " تاريخ الحرب العالمية الثانية"، ج٢، ريودى جنايرو، البرازيل، ١٩٤٨.

- ر. ب. ماكالام كيف تُحكم بريطانيا، بدون مترجم، القاهرة، مطبعة النيل، (ب.ت).
- ر. ت. مكنزى: الأحزاب السياسية فى بريطانيا، ترجمة؛ محمد مصطفى عطا، دار المعارف، ١٩٥٧.
- رؤوف سلامة موسى: بريطانيا مهد الديمقراطية وموطن التقاليد، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية، ١٩٩٣.
- رأفت غنيمى الشيخ (د): أمريكا والعالم فى التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦.
- رولان موسينيه: تاريخ الحضارات العام "القرنان السادس عشر والسابع عشر"، ترجمة؛ يوسف أسعد داغر و فريد داغر، مكتبة عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
- رياض الصمد(د): العلاقات الدولية فى القرن العشرين، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦.
- سعاد الشرقاوى(د):النظم السياسية فى العالم المعاصر(الدولة، الموسسات، الحركات)، دار النهضة العربية، ٢٠٠٧.
- سيدنى: الديمقراطية البرلمانية الانجليزية، ترجمة؛ فاروق يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
- صلاح الدين فوزى (د): البرلمان "دراسة مقارنة تحليلية لبرلمانات العالم"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤.
- صلاح العقاد (د): دراسة مقارنة للحركات القومية فى (ألمانيا، إيطاليا، الولايات المتحدة، تركيا)، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٦٧.
- عبد الحليم القاضى: دراسات فى التأمينات الاجتماعية (بريطانيا، الاتحاد السوفيتى، الولايات المتحدة)، ١٩٧١م.

- عبد العظيم رمضان (د): تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البورجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة "من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، اللقاهرة، ١٩٩٧.
- عبد الفتاح أبو علية (د) و إسماعيل أحمد ياغى (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ط٣، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٣.
- عبدالقادر حاتم (د): التقاليد البرلمانية فى بريطانيا، الكتاب رقم (٢٤)، وزارة الإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٥٧.
- ف.تروخانوفيسكى: سياسة بريطانيا الخارجية خلال الحرب العالمية، ترجمة؛ عبد الحميد الجمال، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٦.
- فؤاد يونس: نظام الميزانية فى بريطانيا، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، مركز البحوث الإدارية، ١٩٧٢.
- فاضل حسين (د)، كاظم هاشم نعمة (د): التاريخ الأوربى الحديث(١٨١٥-١٩٣٩)، ط١، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ١٩٨٢.
- فرانك تاننباوم: مبادئ السياسة الأمريكية، ترجمة؛ أحمد عبد المجيد فؤاد، مطبعة الشركة للنشر، القاهرة، ١٩٥٨.
- فرغلى على تُسن هريدى (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠١.
- لورد بريدجس: وزارة الخزانة فى بريطانيا، ترجمة؛ فؤاد يونس،المنظمة العربية للعلوم الادارية، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٤.
- محمد قاسم، حسين حسنى: تاريخ القرن التاسع عشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.
- مكرم سعيد: الدولار يحكم بريطانيا، دار الفكر، ١٩٦٣.

- ميشيل ستيوارت: نظم الحكم الحديثة، ترجمة؛ أحمد كامل، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٢.
- نعمان الخطيب: الأحزاب السياسية ودورها فى أنظمة الحكم المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.
- نعمة حسن البكر (د): الهيمنة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية "العلاقات البريطانية – الأمريكية (١٩٤٥-١٩٥٣)، دراسة فى العلاقات السياسية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.
- هـ. ج. ولز: معالم تاريخ الإنسانية(١٦٠٠-١٩٦٥)، ترجمة؛ عبد العزيز توفيق جاويد، المجلد الرابع فى التاريخ الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.
- هـ.أ.فشر: تاريخ أوربا الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة؛ أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع، جمعية التاريخ الحديث،ط٩، دار المعارف، القاهرة،١٩٩٣.
- وليم أ. روبسن: نظام الحكم فى بريطانيا العظمى؛ ترجمة؛ محمد عوض إبراهيم بك، مطبعة المعارف ومكتبتها، القاهرة، ١٩٤٤.

الرسائل العلمية:

- عادل محمد محمد إبراهيم :دور رئيس الدولة فى النظم الدستورية المعاصرة " دراسة مقارنة"، رسالة دكتوراة، جامعة الإسكندرية، كلية الحقوق، ١٩٩٩.
- محمد سيد إسماعيل: الحياة النيابية فى بريطانيا (١٨٣٢-١٩١٩)، رسالة ماجستير، جامعة جنوب الوادى، كلية الآداب بقنا، ٢٠١٢.
- _____ : الحياة البرلمانية في بريطانيا والولايات المتحدة (١٩١٩-١٩٤٥)م دراسة مقارنة، رسلة دكتوراة، ٢٠١٥.